فيـــــض الــرحــمن

فـــــي

تــأويـــــل ســـيدة آي القـــرآن

دراسة تفسيرية تحليلية

للدكتور

بركات أحمد محمود أبو عوف

الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم. جامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الحمد لله الذي خلق الإنسان، وأنزل القرآن، والحمد لله الذي افتتح خلقه بالحمد، وافتتح كتابه بالحمد، فله الحمد في الأولى والآخرة.

والحمد لله الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وختمهم بالنبي الأمي الأمين، الهادي لأوضح السبل، أرسله جل شأنه إلى جميع خلقه، وترك فينا ﷺ ما إن تمسكنا به لن نضل أبدا، كتاب الله تعالى، وسنته ﷺ.

أحمد الله تعالى على نعمة الإسلام، وأشكره على نعمة الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هدانا لأقوم الطرق، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ﷺ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وحبيبه، أرسله ربه رحمة للعلمين، وإماما للمتقين، وحجة على العباد أجمعين، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فالقرآن الكريم أفضل كتب الله المنزلة على الإطلاق، أنزله ﷻ على خير خلقه، وبعثه به إلى خير أمة، وجعله كتابا فارقا بين الشك واليقين، أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وجعل أمثاله عبرا للمتدبرين، وأوامره هدى للمستبصرين، ضرب الله ﷻ فيه الأمثال، وفرق فيه بين الحرام والحلال، وكرر القصص والمواعظ بألفاظ لا تمل،

ولا تخلق على كثرة الرد، وحثنا على فهم معانيه، وبيان أغراضه ومبانيه، وبين أن الغاية ليست في حفظه وسرده، ولا يتأتى للأمة أن تأخذه منهاجا ودستورا لحياتها إلا بعد تفهم معناه، وتدبره مقاصده، قال ﷻ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص : ٢٩ وقال ﷻ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد : ٢٤.

إن العيش مع كتاب الله ﷻ نعمة لا يدركها إلا من أنعم الله عليه، وما أسعد الإنسان حينما يجعل هذا القرآن أمامه، فاهتدى بهديه، وامتثل لأمره، وانتهى بنهيه، ولا يكون ذلك إلا بعد تدبر آياته، وما أسعد المجتمع الذي توجد فيه هذه النماذج، وما اشد بؤسه إذا فقدها، فتخبط بما فيه يمنة ويسرة، وانتهت أعمارهم إلى ضياع، فضاعت دنياهم، وضاعت أخراهم، قال ﷻ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الكهف: ١٠٣ – ١٠٤.

إن أكثر الأوقات بركة تلك التي تقضى مع كتاب الله ﷻ، حيث يعيش المرء مع كلام ربه، ويستشعر عظم المناجاة، وتمام العناية تحيط به وترعاه، وتأخذ بيده إلى سعادته وفلاحه، خاصة إذا أدرك ما فعله القرآن في الجيل الأول الذي تلقاه بالقبول والعمل، بل وفي كل جيل أحسن التلقي إلى يوم الدين.

إن من يعيش مع كتاب الله بصدق جوارحه يدرك عمق الخطر في دعاوى الذين يطالبون بنشر العامية تكلما وكتابة، ولو حاولوا التستر وراء ما يطرحونه من صعوبة اللغة، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمة بكتاب ربها، لتنسلخ عن مصدر الهداية، فتغرق في التيه والضياع.

لقد أنزل الله ﷻ القرآن على نبيه ﷺ، وجعله كتاب إعجاز، تحدى به أرباب الفصاحة والبيان على مراحل مختلفة، أن يأتوا بمثله أو ببعض منه، فعجزوا، وسجل ﷻ هذا العجز عنهم في قوله الخالد : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء : ٨٨.

وبالإضافة إلى أنه دستور الخلق، جعله ﷻ منقذا للأمة من أزماتها، وجامعا لصلاحها في معاشها ومعادها.

فعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ألا أنها ستكون فتنة، فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) [1].

(١) الحديث أخرجه الترمذي. ك. فضائل القرآن. ب. فضل القرآن، وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، راجع : سنن الترمذي ٥/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

فلا خيار للأمة في أن تأخذ بعضه أو تترك بعضا منه، وإلا صدق فيهم ما صدق فيمن كان قبلهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ البقرة : ٨٥.

من هنا : فقد حاز القرآن الكريم عناية الرسول ﷺ، وعناية صحابته ﷺ وسادة التابعين وتابعيهم ومن أتى بعدهم، حيث اعتنوا بالقرآن عناية فائقة، وبذلوا في خدمته جهوداً طيبة، وفي الوقت ذاته ورد عنهم الذم لمن قرأه دون فهم ونظر.

وكيف لا ؟ وقد قال ابن مسعود ﷺ : (من أراد العلم فعليه بالقرآن ؛ فإن فيه خبر الأولين والآخرين، وفي رواية : فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين) [(١)].

ويقول الزركشي : فإن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار اللواقح، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، الذي تقوم به المعالم، وتثبت الدعائم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره. تظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه،

(٢) الحديث أخرجه البيهقي. ب. في تعظيم القرآن، فصل في تعليم القرآن، انظر : شعب الإيمان ٢/ ٣٣٢.

وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه. أ. هـ [1] .

وليس من شك في أن الله ﷻ قد اختص الأمة الإسلامية بهذا القرآن وجعله دستورا، ومنهاجا، وشفاء، ورحمة، وهذا النور ضمن لأتباعه السلامة من الضلالة والشقاوة، قال ﷻ : ﴿ **قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾ البقرة : ٣٨ وقال ﷻ : ﴿ **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾** ﴾ طه : ١٢٣.

من ثم : فإن أفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، وأحق ما يشتغل به الباحثون، مدارسة كتاب الله ﷻ، ومداومة البحث فيه، وبذل الكشف عن علومه وحقائقه، وإظهار إعجازه، ونفي الشكوك والريب عنه، لأنه هو الذي يهدي البشرية إلى الله، ويربط قلوبهم بشرعه وهداه، ويرسم لهم المنهج الأمثل في كل ما يتصل بدينهم ودنياهم.

والحق أن البشرية لم تعرف عبر تاريخها كله كتابا توفرت له همم الرجال كالتي توفرت لكتاب الله، كما لم تعرف ـ في الوقت ذاته ـ كتابا بلغ عليه من التفاسير المختلفة ما بلغ على كتاب الله تعالى [2].

فطوبى لمن هداه الله للعمل به، والقيام على خدمته، وهنيئا لمن وفق للوقوف عند حدوده، واقتفى أثر من سبق ممن أوقفوا حياتهم على الكشف عن أسراره، بغية هداية الناس إلى طريق الله المستقيم.

(١) راجع : البرهان في علوم القرآن ١/ ٣ ـ ٤.
(٢) انظر : المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٦ بتصرف يسير.

والحمد لله الذي يسر لنا بمحض فضله خدمة كتابه، وجعلنا ممن نالوا شرف علمه وتعلمه، لهذا رغبت في تفسير هذه الآية الكريمة، راجيا من الله ﷻ أن يدخلني في زمرة أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته

ولا يفوتني هنا أن أنبه أن هذا البحث هو جهد المقل، أقدمه مشفوعا بحمد الله على تمام فضله، وعظيم إحسانه، فإن أك قد وفقت فيما إليه قصدت ففضل من الله علينا، وإن تكن الأخرى فتقصير ساقه العجز إلينا، والكمال لله وحده، ولا معصوم إلا من عصم الله.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي مقبولا، وأن يتجاوز عن زلاتي فيه وما أكثرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيد ولد آدم سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور

بركات أحمد أبوعوف

يقول الله ﷻ وتقدست أسماؤه :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة : ٢٥٥.

صدق الله العظيم

بين يدي الآية الكريمة :

من جميل صنع الله تعالى أن بعث إلينا سيدنا محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أرسله ﷻ على حين فترة من الرسل فدعا الناس إلى ربهم حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ويلزم كل من اتبع دين الله، أن يجتهد في العمل بالكتاب والسنة، لما رواه جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي) [(١)]، ولقد وعد الشرع من تمسك بهما بالأجر الذي لا يخفي، وفي الوقت نفسه حذر ﷺ من مخالفتهما، وعدم العمل بما فيهما.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا : يا رسول الله، ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل

(١) الحديث أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله . ك. المناقب. ب. في مناقب أهل بيت النبي ﷺ، وقال : هذا حديث حسن غريب، راجع : سنن الترمذي ٥/ ٦٦٢.

الجنة، ومن عصاني فقد أبى) [1].

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما، فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) [2].

ولا شك أن من اعتصم بالكتاب والسنة كان قويا محبوبا عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، والناس أجمعين، قال ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير) [3].

والقوة هنا يراد بها : القوة المعنوية في إظهار الحق والدعوة إليه، مع الثقة الكاملة في موعود الله ﷻ، وقد يراد بالقوة القوة الحسية، ولا مانع من إرادة المعنيين معا.

وهذه الآية التي بين أيدينا هي أعظم آي القرآن كله، لأنها تقرر وحدانية الله تعالى، وفي الوقت ذاته جمعت أصول الصفات من الألوهية والوحدانية، والحياة، والملك، والقدرة، والإرادة.

ولقد اشتملت هذه الآية على ما يزيد على سبعة عشر موضعا فيها

(١) الحديث أخرجه البخاري. ك. الاعتصام بالكتاب والسنة. ب. الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ انظر : فتح الباري ١٣/ ٢٦٣.
(٢) الحديث أخرجه البخاري نفس الكتاب والباب السابقين، انظر : فتح الباري نفس الجزء والصفحة السابقين.
(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ. ك. الزهد. ب. التوكل واليقين، راجع : سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٩٥.

اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها، ومستترا في البعض الآخر، وفي الوقت ذاته نطقت الآية بأن الله واحد في ألوهيته، موجد لغيره، منزه عن كل عيب، مبرء من كل نقص، لا يعتريه تغيير ولا تبديل، ولا يحل بساحته ما يعرض للنفوس والأرواح والأشباح.

والله ﷻ هو مالك الملك، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، العالم بجلي الأشياء وخفيها، وكليها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، لا يشق عليه شاق، ولا يثقل شيء لديه، متعال عن كل ما لا يليق بجنابه، عظيم [1].

إنها لآية عظيمة الشأن، جليلة القدر، عميقة في دلالاتها، شاملة في مجالاتها، حيث تضمنت قواعد التصور الإيماني، وذكرت من صفات الله ﷻ ما يقرر معنى الوحدانية في أدق مجالاته وأوضح سماته

ولأهمية وضوح صفات الله وبلوغها في الضمير الإنساني مبلغا، فقد جاء الإسلام فجلاها وأظهرها، بحيث تمثل كل صفة قاعدة يقوم عليها التصور الإسلامي، وعن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية الحقيقية، حتى يعبد المرء ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فيعلم أنه يراه، كذلك يعلم أنه لا يكون عبدا إلا لله، ولا يتجه إلا إليه، ولا يسأل غيره، ولا يعتمد على سواه، ولا يتذلل إلا له جل شأنه.

وتبدأ الآية بتقرير صفتي الحياة والقيومية بعد أن أكدت صفة الوحدانية، ومما لا شك فيه أنه مما يجعل الإنسان آمنا في حياته، شعوره العميق بأنه في يد رب حي، قيوم، حافظ، يقوم على كل موجود بالحفظ، ويقوم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه

(١) انظر : روح المعاني ٣/ ١١ بتصرف يسير.

شيء، ولا يعتريه نقص ولا غفلة، فلا تعتريه سنة تصيب عينا، ولا نوم يخالط قلبا، فعن أبي موسى ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، وفي رواية أبي بكر : النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) [1].

وهذه الآية تقرر أن الكل أمام الله سواء، لا يملك أحد منهم لأحد شيئا، وقد يتفاضل الناس في الدين والدنيا حسب الحكمة المختارة لكل أزلا، ومع هذا فإن لكل واحد حد لا يتخطاه، وموقف لا يتعداه، فلا يملك أحد منهم الجرأة على طلب شيء لم يأذن له الله به، كما أنها تملأ القلب بعظمة الله وجلاله، حتى لا يبقى فيه موضع للغرور.

وتؤكد الآية أن علم الله شامل لما بين أيدي خلقه وما خلفهم، سواء أسروا أو جهروا، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الملك : ١٣، فالنفس إذا عارية في كل لحظة أمام بارئها وموجدها، وإذا ما استشعرت النفس ذلك : استسلمت واخلصت لمن لا تخفي عليه خافية.

ثم تبين الآية أن الله وحده هو الذي يكشف للإنسان بعض آياته في النفس والكون يوما بعد يوم، والملاحظ أنه بقدر ما كشف الله لبعض خلقه بقدر ما زوى عنهم، وبالرغم أن الإنسان في عصر الاكتشافات لم يعرف إلا طرفا من العلم، إلا أنه افتتن به، ونسي ما كان فيه من قبل

(١) الحديث أخرجه مسلم. ك. الإيمان. ب. قوله ﷺ إن الله لا ينام...، راجع : صحيح مسلم بشرح النووي ٣ / ١٣، وابن ماجة. في المقدمة. ب. انظر : سنن ابن ماجة ١/ ٧٠.

وعلى طريقة القرآن في التعبير التصويري تبين الآية أن كرسي الله ﷻ قد وسع السماوات والأرض، ولأن الصورة هنا تمزج الحقيقة المراد التعبير عنها وتمثيلها في القلب قوة وعمقا وثباتا، فقد جاءت في صورة حسية في موضع التجريد المطلق.

وفي ختام صفات الألوهية تقرر الآية أن الله وحده هو المنفرد بالعلو والعظمة، فيعلو الإنسان ما يعلو، ويعظم في نفسه، أو على غيره، فإن علوه ناقص، وعظمته فانية لا دوام فيها، لأن العلو الحقيقي لله، والعظمة الكاملة له ﷻ، قال ﷺ : (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم) [1].

ومن هنا يكفكف الإنسان من كبريائه، ويسرع بالعودة إلى مولاه، وإلى الشعور بجلاله وعظمته، وإلى الأدب في حقه، والتحرج من العلو على عباده. فهي اعتقاد وتصور، وهي كذلك عمل وسلوك [2].

متى نزلت هذه الآية ؟

ذكر السيوطي ـ رحمه الله ـ أن أكثر القرآن الكريم نزل نهارا، ومنه ما نزل ليلا، ولقد أتى بأمثلة تدل على ذلك، ثم أضاف أن من القرآن ما نزل في الحضر، ومنه ما نزل في السفر، ومنه ما نزل في الصيف ومنه ما نزل في الشتاء، ومنه ما نزل في الفراش، ومنه ما نزل في النوم، ومنه ما نزل في الأرض، ومنه ما نزل في السماء [3].

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ. ك. الزهد. ب. البراءة من الكبر، راجع : سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٩٧.
(٢) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠ بتصرف.
(٣) راجع : الاتقان ١/ ٤٤.

والآية التي بين أيدينا من القرآن الذي ثبت نزوله ليلا، يدل على هذا ما أخرجه القرطبي في تفسيره أن هذه الآية نزلت ليلا، فدعا النبي ﷺ زيدا ـ أي ابن ثابت ـ رضي الله عنه فكتبها (١).

ترتيبها في المصحف :

تقع هذه الآية الكريمة في سورة البقرة الخامسة والخمسون بعد المائتين، **ولعل سائلا يسأل :** لماذا وضعت هذه الآية في هذا المكان في هذه السورة ؟

وللجواب عن هذا أقول : أجمع أهل العلم على أن ترتيب الآيات وترتيب السور ترتيب توقيفي، لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، أخبر النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم بذلك، ثم تلقاه التابعون عنهم، وهكذا.

والمتأمل في ترتيب الآيات يرى أنها من أعظم روافد الإعجاز، وهذا يدل على أن آي الذكر الحكيم قد رتبت هذا الترتيب البديع المعجز، لحكمة بالغة، لا يعلمها إلا الذي أحاط بكل شيء علما.

قال أبو بكر الأنباري :

أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل عليه السلام النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السورة كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ (٢).

وقال الكرماني :

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٧٥.
(٢) راجع : الإتقان ١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

ترتيب السور هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل . عليه السلام . كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه ﷺ عليه . عليه السلام . في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ البقرة : ٢٨١، فأمره جبريل . عليه السلام . أن يضعها بين آيتي الربا والدين[١].

وقال الطيبي :

أنزل القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقا على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ [٢].

فضل الآية وشرفها :

لقد أفرد علماء التنزيل ـ يرحمهم الله ـ فضائل القرآن الكريم بالبحث والتأليف، وقسموا ما قاموا به إلى قسمين :

القسم الأول : يتناول ما ورد في فضائل القرآن الكريم جملة، **القسم الثاني :** يتناول ما ورد في فضائل القرآن الكريم على وجه الخصوص.

فمن الأول : ما أفرده أبن أبي شيبة، والحافظ النسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الضريس، وغيرهم، **ومن الثاني :** ما أفرده الحافظ السيوطي في خمائل الزهر في فضائل السور [٣].

بيد أن بعض العلماء قد أوغل في هذا النوع فأتى بكثير من الأحاديث الموضوعة قاصدا بذلك الترغيب والترهيب، وهذا لعمري في

(٣) انظر : البرهان ١/ ٢٥٩، والإتقان ١/ ٤٠٧.
(٤) راجع : الإتقان ١/ ٤٠٧.
(١) انظر : الإتقان ٤/ ٢٠٩٩.

القياس بديع، ومن عظيم فضل الله وتمام إحسانه أن قيض من علماء الأمة من ردوا مثل هذا، وميزوا بين الصحيح، والموضوع، وغيرهما.

من ثم : فيجب على كل باحث ألا ينقل من الأحاديث إلا ما ثبت صدقه، وأقره أهل الجرح والتعديل، وعزوه إلى من أخرجه حتى تبرأ الذمة، عملا بقول (من أسند فقد أحالك، ومن أرسل فقد تكفل لك) [١]

والآية التي بين أيدينا قد ورد فيها جانبا كبيرا من الأحاديث والآثار تدل على عظم فضلها وجلال قدرها، وأن لها عند الله شأنا.

أولا : ما ورد في فضلها من الأحاديث، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١. أنها سيدة آيات القرآن الكريم :

يدل على هذا ما روي عن رسول الله ﷺ قال : (لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي)[٢]

٢. أنها أعظم آية في القرآن :

(٢) راجع : تدريب الراوي ١/ ٣٠١.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. ك. فضائل القرآن. ب. ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال عنه هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، انظر : سنن الترمذي ٥/ ١٥٧.

يدل على هذا ما روي عن أبي بن كعب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أبا المنذر، (أي آية في كتاب الله أعظم معك ؟ قال : قلت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ قال : فضرب صدري وقال : ليهنك العلم أبا المنذر) [١].

٣. أنها تقدس الله تعالى عند ساق العرش :

يدل على هذا ما روي عن أبي بن كعب ﷺ ـ أيضا ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين، تقدس الملك عند ساق العرش) [٢]

٤. أنها نزلت على النبي ﷺ من كنز تحت العرش :

يدل على هذا ما روي عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال : (البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ من تحت العرش فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة) [٣].

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (أربع آيات نزلن من كنز تحت العرش، أم الكتاب، وآية الكرسي، وسورة البقرة، والكوثر) [٤] [٥].

٥. أنها تشتمل على اسم الله الأعظم :

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك. ك. معرفة الصحابة ﷺ. ب. ذكر مناقب أبي بن كعب ﷺ، راجع : المستدرك ٣/ ٣٠٤.
(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده، انظر : المسند ٣٥/ ٢٠٠.
(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده، راجع : المسند ٣٣/ ٤١٧.
(٤) الحديث أخرجه الطبراني في معجمه، انظر : المعجم الكبير ٨/ ٢٨٠.
(٥) المراد بأم الكتاب هنا سورة الفاتحة، والمراد بسورة البقرة، أي : خواتيمها، وقد ورد في السنة ما يدل على أن أم الكتاب وخواتيم البقرة نزلتا من كنز تحت العرش.

يدل على هذا ما روي عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (إن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور : سورة البقرة، وآل عمران، وطه)، قال أبو أمامة : فالتمستها فوجدتها في البقرة في قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، وفي آل عمران في قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، وفي طه في قوله ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ (١).

٦. أنها سبب لحفظ العبد في ليله ونهاره :

يدل على هذا ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال : إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال : فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ : يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك البارحة ؟... إلى أن قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت : ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله : زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال : ما هي ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ،

ولا يقربك شيطان حتى تصبح : وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ : أما إنه قد صدقك وهو كذوب...) (٢).

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة وغيره. ك. الدعاء. ب. اسم الله الأعظم، راجع : سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٦٧، والطبراني في معجمه الكبير ٨/ ٢٨٢، والحاكم في المستدرك حديث رقم (١٨٦٦) ١/ ٥٠٦.

(١) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ. ك. الوكالة. ب. إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل، انظر : فتح الباري ٤/ ٥٦٨.

وعن رسول الله ﷺ قال : (من قرأ حم المؤمن إلى قوله ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وآية (الكرسي) حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح) [1]، وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي، حفظ إلى الصلاة الأخرى...) [2]

٧. أنها عوض عن المهر عند عدم القدرة عليه :

يدل على هذا ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ سأل رجلا من صحابته فقال : أي فلان، هل تزوجت ؟ قال : لا، وليس عندي ما أتزوج به، قال : أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؟ قال : بلى، قال : ربع القرآن، قال : أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ؟ قال : بلى، قال ربع القرآن، قال : أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ ؟ قال : بلى، قال ربع القرآن، قال : أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ ؟ قال : بلى، قال ربع القرآن، قال : أليس معك آية الكرسي **الكرسي** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؟ قال : بلى، قال ربع القرآن قال : تزوج، تزوج، تزوج، ثلاث مرات) [3].

٨ . أنها لا تمكن الشيطان من المكث في البيت :

(٢) الحديث أخرجه الترمذي. ك. فضائل القرآن. ب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال : هذا حديث غريب، انظر : سنن الترمذي ٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨.
(٣) الحديث أخرجه البيهقي. ب. تخصيص آية الكرسي بالذكر، رقم الحديث (٢٣٠١) راجع : شعب الإيمان ٢/ ٤٥٩.
(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده، انظر : المسند ٢١/ ٣٢.

يدل على هذا ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لكل شيء سناما، وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية سيدة آي القرآن، لا تقرأ فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه، آية الكرسي) (١).

٩. أنها تدخل العبد في ذمة الله، وكانت له ولمن حوله أمنا وسلاما :

يدل على هذا ما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى) (٢)، وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخوله الجنة إلا الموت، ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره، ودار جاره، ودويرات حوله) (٣).

١٠. أنها سبب لجلب بركة الطعام والإدام وما سواهما :

يدل على هذا ما روي عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ (أن رجلا أتى النبي ﷺ فشكا إليه أن ما في بيته ممحوق من البركة، فقال له النبي ﷺ : أين أنت من آية الكرسي ؟... ما تليت على طعام ولا إدام إلا أنمى الله بركة ذلك الطعام والإدام) (٤).

١١. أن من واظب عليها نال بها جنة عرضها السماوات والأرض :

(١) الحديث أخرجه الشهاب الحميدي، مسند أبي هريرة، رقم الحديث (٩٩٤)، راجع : مسند الشهاب الحميدي ٢/ ٤٣٧.
(٢) الحديث أخرجه الطبراني في معجمه رقم (٢٧٣٣)، انظر : المعجم الكبير ٣/ ٨٥.
(٣) الحديث أخرجه البيهقي. ب. في تعظيم القرآن. فصل. في فضائل السور والآيات. راجع : شعب الإيمان ٢/ ٤٥٨.
(٤) راجع : الدر المنثور ٣/ ١٦٩.

يدل على هذا ما روي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخوله الجنة إلا الموت...) [١]، يؤكد هذا ويعضده ما روي عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) [٢].

ثانيا : ما ورد في فضلها من الآثار، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١. لا ينبغي التفريط فيها لجلب خيرها ونيل بركتها :

يدل على هذا ما روي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : (ما أرى رجلا أدرك عقله في الإسلام يبيت حتى يقرأ هذه الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، ولو تعلمون ما فيها لما تركتموها على حال : إن رسول الله ﷺ قال : (أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش، ولم يؤتها نبي قبلي) قال علي : فما بت ليلة قط منذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ حتى أقرأها) [٣].

٢. أنه لا يعدلها شيء في الأرض ولا في السماء :

يدل على هذا ما روي عن ابن عباس ﷺ قال : (ما خلق الله من سماء، ولا أرض، ولا سهل، ولا جبل، أعظم من سورة البقرة... وأعظم آية فيها آية الكرسي) [٤]، وعن ابن مسعود ﷺ ما يشبه قول ابن عباس

(١) الحديث أخرجه البيهقي. ب. في تعظيم القرآن. فصل. في فضائل السور والآيات. راجع : شعب الإيمان ٢/ ٤٥٨.
(٢) الحديث أخرجه النسائي. ك. عمل اليوم والليلة. ب. ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، راجع : السنن الكبرى ٩/ ٤٤.
(٣) راجع : الدر المنثور ٣/ ١٨٠.
(١) انظر : المصدر السابق ٣/ ١٧٠.

حيث قال : (ما من سماء، ولا أرض، ولا سهل، ولا جبل، أعظم من آية الكرسي) [١].

وعن سلمة بن قيس قال : (ما أنزل الله تعالى في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور أعظم من ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [٢].

٣. أنها تقرأ في زوايا البيت وعند النوم لجلب الحفظ :

يدل على الأول : ما روي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ : (أنه كان إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي) [٣]، ويدل على الثاني : قول قتادة : (من قرأ آية الكرسي إذا أوى إلى فراشه وكل به ملكين يحفظانه حتى يصبح) [٤].

٤ . أن قراءتها مع التدبر والتأمل من أفضل الأعمال :

يدل على هذا ما روي عن الحسن البصري قال : (أن رجلا مات أخوه، فرآه في المنام، فقال : أخي، أي الأعمال تجدون أفضل ؟ قال القرآن، قال : فأي القرآن ؟ قال : آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [٥].

٥. أن من واظب على قراءتها نال عند موته ما لم يخطر له بال :

---

(٢) راجع : سنن الترمذي. ك. فضائل القرآن. ب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/ ١٦١، والدر المنثور ٣/ ١٧٠.
(٣) انظر : الدر المنثور ٣/ ١٨٥.
(٤) راجع : مصنف ابن أبي شيبة. ك. فضائل القرآن. ب. في البيت الذي يقرأ فيه القرآن، ١٠/ ٢٧.
(٥) انظر : الدر المنثور ٣/ ١٨٦.
(١) راجع : المرجع السابق ٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦.

يدل على هذا ما جاء في الخبر : (أن من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى يستشهد، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمن على نفسه، وجاره، وجار جاره، والأبيات حوله) [1].

مفهوم ينبغي أن يصحح :

يلاحظ القارئ أن بعضا مما استشهدت به على فضل هذه الآية من الأحاديث أو الآثار قد يكون ضعيفا، والبعض تجاه الحديث الضعيف إما متوقف وإما رافض، والحق يدعونا أن نصحح هذا المفهوم بما أدلى به الثقات من علماء الأمة حول هذا الموضوع، فنتساءل :

ما حكم رواية الحديث الضعيف والعمل به ؟

وللجواب عن هذا أقول : لقد اختلف أهل العلم في رواية الحديث الضعيف وقبوله على ثلاثة أقوال تتمثل فيما يلي :

القول الأول : يرى أصحابه جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقا، سواء كان ذلك في الحلال والحرام، والفرض والواجب، أو كان في الفضائل، والترغيب والترهيب وغيرها، وذلك بشرطين :

الأول : أن يكون الضعف غير شديد، لأن ما كان كذلك يعتبر متروكا، **الثاني :** أن لا يوجد في الباب غيره، وأن لا يكون هناك ما يعارضه.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٧٥.

وحجة هؤلاء : أن الحديث الضعيف لما كان محتملا للإصابة، ولم يعارضه شيء قوي جاز العمل به، كما أن الضعيف عند هؤلاء أقوى من رأي الرجال، وهذا قول : أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم.

القول الثاني : يرى أصحابه عدم جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقا، لا في الأحكام، ولا في غيرها من الفضائل والترغيب والترهيب.

وحجة هؤلاء : أن الحديث الضعيف إنما يفيد الظن، والله جل جلاله قد ذم الظن في غير آية من القرآن الكريم، قال ﷻ : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ يونس : ٣٦، وقال ﷺ : (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث) [1]، كما أن في الأحاديث الصحيحة ما يغني المسلم عن الأخذ بالحديث الضعيف، وهذا قول : يحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، والنيسابوري، وأبو زرعة الرازي، وغيرهم.

القول الثالث : التوسط بين القولين :

إذا كان أصحاب القول الأول والثاني على طرفي نقيض في قبول الحديث الضعيف ورده، فقد سلك جمهور العلماء مسلكا وسطا بين القولين، فرأوا عدم جواز الاحتجاج بالحديث الضعيف في العقائد والأحكام من الحلال والحرام، وجواز التحدث به في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب.

وحجتهم في ذلك : أن الحديث الضعيف إن كان صحيحا في نفس الأمر فقد أعطى حقه من العمل به، ولم يترتب على العمل به مفسدة، لأنه ليس في تحليل ولا تحريم، ولا ضياع حق للغير، وهذا قول : سفيان الثوري، وعبد الله ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وابن عبد البر، وغيرهم.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ. ك. الفرائض. ب. تعليم الفرائض، راجع فتح الباري ٦/١٢ .

ومع أن أصحاب هذا القول قد أجازوا الاحتجاج بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب، إلا أنهم اشترطوا لقبوله شروطا نذكر منها

١. أن يكون الضعف غير شديد.
٢. أن يكون الضعيف مندرجا تحت أصل عام.
٣. أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ.
٤. أن يكون موضوع الحديث الضعيف في فضائل الأعمال.
٥. أن لا يعارض الحديث الضعيف حديثا صحيحا [١].

معنى العمل بالحديث الضعيف :

يقول ابن تيمية : العمل به . أي بالضعيف . بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب، وتخاف ذلك العقاب، ومثال ذلك : الترغيب والترهيب بالإسرائيليات، وكلمات السلف الصالح، فيجوز أن يذكر . أي الضعيف . في الترغيب والترهيب والترجية والتخويف [٢].

وقال الشهاب الخفاجي : معنى ذلك أن يروى حديث ضعيف في ثواب بعض الأمور الثابت استحبابها والترغيب فيها، أو في فضائل بعض الصحابة ﷺ، أو الأذكار المأثورة [٣]، ورأى أحد العلماء المتأخرين [٤] أن رواية الحديث الضعيف من باب حفظ العلم، وعدم التفريط في شيء مما يروى [٥].

البلاغة في الآية :

(١) راجع : الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به للدكتور / عبد الكريم خضير ص ٢٤٩ وما بعدها بتصرف يسير، ومنهج النقد في علوم الحديث ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥.
(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/ ٦٦.
(١) راجع : نسيم الرياض شرح الشفا للقاضي عياض ١/ ٤٣.
(٢) هو الشيخ / محمد عبد الرزاق حمزة ـ يرحمه الله.
(٣) انظر : ظلمات أبي رية أمام السنة المحمدية ص ١٠١.

لقد انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية، لذا قال ﷺ : (لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن البقرة، وفيها آية هي سيدة آل القرآن وهي آية الكرسي) [١]، ومن هنا : يمكن تلخيص فنون البلاغة المنطوية في هذه الآية الكريمة على النحو التالي :

١- **الاستعارة التصريحية** : في قوله ﷻ ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ فكلمة ﴿ الكرسي ﴾ مجاز عن علمه تعالى، أو ملكه، وتصوير صحيح لعظمته، حذف المشبه، وهو العلم، والقدرة، والعظمة، وما يترتب على الجلوس فوق كرسي الملك من معاني الإحاطة الجامعة [٢]، وهذا موافق لما قاله ابن عباس ﷺ : كرسيه : أي : علمه، ورجحه الطبري، وقيل : كرسيه أي : قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض [٣].

٢- **الإيجاز** : حيث تضمنت هذه الآية من الإيجاز ما لا مطمح فيه لتقليد أو محاكاة، ويمكن القول إن البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي

بأقوى عبارة وأدق وصف، وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني، وهو حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفاته ﷻ مستقلة بنفسها[٤].

٣- **إيجاز الإيجاز** : وذلك لما اشتملت عليه هذه الآية بما لم يأت في غيرها من آيات القرآن، حيث اشتملت على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها، ومستترا في البعض الآخر [٥]، وهذه المواضع هي :

---

(٤) الحديث أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ. ك. فضائل القرآن. ب. ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال عنه هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، انظر : سنن الترمذي ٥/ ١٥٧.
(٥) راجع : إعراب القرآن وبيانه ١/ ٣٣٢.
(٦) انظر : تفسير القرطبي ٣/ ١٨٠.
(١) راجع : إعراب القرآن وبيانه ١/ ٣٣٣.
(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢١٥٠.

١.	الله	٢.	هو	٣.	الحي	٤.	القيوم
٥.	ضمير لا تأخذه	٦.	ضمير له ما في السماوات وما في الأرض				
٧.	ضمير عنده	٨.	ضمير بإذنه	٩.	ضمير يعلم		
١٠.	ضمير علمه	١١.	ضمير شاء	١٢.	ضمير كرسيه		
١٣.	ضمير يؤوده	١٤.	وهو	١٥.	العلي	١٦.	العظيم
١٧.	الضمير المستكن الذي اشتمل عليه المصدر وهو ﴿حِفْظُهُمَا﴾ فإنه مصدر مضاف إلى المفعول وهو الضمير البارز، ولا بد له من فاعل وهو الله ويظهر ذلك عند فك المصدر فيقول : ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ أي يحفظهما هو [١].						

وقد حاول أحد الأعلام أن يوصلها إلى واحد وعشرين موضعا، ويعتبر الأسماء المشتقة الواردة فيها تحتاج إلى ضمير كالحي، والقيوم، والعلي، والعظيم، فيكون كل واحد باثنين، وبذلك تضاف إلى ما سبق فيكون المجموع واحدا وعشرين، وقد توزع هذا القول بأن المشتق لا يقع على موصوفه إلا باعتباره محتملا لضمير، فلا يمكن أن يتميز بحكم الانفراد عن الضمير، ولهذا فالاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما [٢].

(٣) راجع : إعراب القرآن وبيانه ١/ ٣٣٤.
(١) راجع : البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٤٣.

مناسبة الآية لما قبلها :

قال النيسابوري : لقد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط الأنواع الثلاثة، علم التوحيد، وعلم الأحكام، وعلم القصص، بعضها ببعض، والغرض من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف، وفي هذا النسق رحمة شاملة ولطف كامل، وكلما انتقل من أسلوب إلى أسلوب انشرح صدره، وتجدد نشاطه، وتكامل ذوقه، ويصير أقرب إلى فهم معناه، والعمل بمقتضاه، وإذ قد تقدم من علم الأحكام والقصص ما اقتضى المقام إيراده، ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد(١).

و**قال الرازي :** ولما ذكر ﷻ فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة لعباده، ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد، فقال : ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ** ﴾ (٢).

وقال أبو حيان : مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض الأنبياء على بعض، وأن منهم من كلمه، وفسر بموسى ﷺ، وأنه رفع بعضهم درجات، وفسر بمحمد ﷺ، وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع، وكانت اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بدعا في أديانهم وعقائدهم وقد بعث رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، فكان منهم من اتخذوا من دون الله آلهة وأشركوا، فصار جميع الناس على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم.

لذلك أتى الله بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراده بالوحدانية، والمتضمنة صفاته العلا... وذلك لينبههم بها على العقيدة الصحيحة التي هي محض التوحيد، وعلى طرح ما سواها (١).

(٢) انظر : تفسير النيسابوري ٢/ ١٢.
(٣) راجع : التفسير الكبير ٧/ ٢.

وقال البقاعي : لما ابتدأ ﷻ الفاتحة بذكر الذات، ابتدأ سورة البقرة بصفة الكلام، لأنها أعظم المعجزات وأبينها، وأدلها على غيب الذات، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها، فلما لم يبق لبس أثبت الوحدانية بآيتها، مخللاً ذلك بأفانين الحكم، ومحاسن الأحكام، وأنواع الترغيب والترهيب، فذكر آية الكرسي سيدة آي القرآن التي ما اشتمل كتاب على مثلها [٢]

وقال ابن عاشور : لما ذكر هول يوم القيامة وذكر حال الكافرين، استأنف بذكر تمجيد الله تعالى، وذكر صفاته، إبطالاً لكفر الكافرين، وقطعاً لرجائهم، وجعلت هذه الآية ابتداء لآيات تقرير الوحدانية والبعث، وأودعت هذه الآية العظيمة هنا لأنّها كالبرزخ بين الأغراض السابقة واللاّحقة [٣].

التفسير التحليلي للآية :

من يتأمل في استهلال هذه الآية الكريمة يلحظ أنها تقرر العقيدة الحقة لله ﷻ حيث تؤكد أنه لا معبود بحق إلا هو، وأنه لا إله في الحقيقة سواه، فكل من اتصف بصفة الألوهية فليس له منها إلا مجرد الاسم، قال ﷻ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم : ١٩ – ٢٣.

وهذا الذي دلت الآية عليه هو التوحيد الخالص لله تعالى، ذلك لأن العقيدة هي التي تحدد منهج الحياة ونظامها تحديدا دقيقا.

---

(١) راجع : البحر المحيط ٢/ ٢٨٦.
(٢) انظر : نظم الدرر ٤/ ٢٥ ـ ٢٧ بتصرف يسير.
(٣) راجع : التحرير والتنوير ٣/ ١٧

من ثم : أخذت الآية في بيان بعض أوصافه ﷻ التي تدل على كمال ذاته في تفرده بالألوهية المطلقة، وأنه الحي الذي يتصف بحقيقة الحياة، فلا شبيه له فيها، لأنها حياة لا بدء لها ولا نهاية.

كما أنه سبحانه القائم على خلقه بتدبير آجالهم وأعمالهم وأرزاقهم، فهو القيوم الذي تقوم به كل حياة، لأنها مفتقرة إليه، ولا يمكن أن تقوم بدونه، قال ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ الروم : ٢٥.

قال شيخ المفسرين : وهذه الآية إبانة من الله تعالى، ذكره للمؤمنين به وبرسوله، عما جاءت به المختلفين البينات، من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى أنه فضل بعضهم على بعض، واختلفوا فيه، فاقتتلوا فيه، كفرا به من بعض، وإيمانا به من بعض. فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به، ووفقنا للإقرار به [1]

ولفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ هو علم على الرب تبارك وتعالى، وهو اسم الله الأعظم ـ كما قال بعض أهل العلم ـ لأنه أكبر أسمائه ﷻ وأجمعها، وأنه يوصف بجميع صفات الله تعالى كما في خاتمة سورة الحشر.

فهذه الأسماء كلها قد أجريت مجرى الصفات له سبحانه، قال ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف : ١٨٠، وقال ﷻ : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الإسراء : ١١٠، وفي البخاري [2] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا

(١) راجع : جامع البيان ٣/ ٦ ـ ٧.
(١) الحديث أخرجه البخاري. ك. التوحيد. ب. أن لله مائة اسم إلا واحدا، انظر : فتح الباري ٣٨٩/١٣.

واحدا، من أحصاها دخل الجنة)، وهذه الأسماء جاء تعدادها في رواية الترمذي [١] وغيره.

قال ابن كثير: لقد ذكر الرازي عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل وألف في الزبور، وألف في اللوح المحفوظ [٢].

وهذا الاسم لم يثن ولم يجمع، لأنه موضوع الذات الجامعة لسائر الصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، لا إله إلا هو، الذي لم يزل، ولا يزال المستحق للعبادة وحده [٣]، وعليه فهو خاص به ﷻ، ولم يسم به غيره، لا في جاهلية ولا في إسلام، بل علم أهل الجاهلية أن هذا لا يختص إلا بمن خلق السماوات والأرض، وخلق كل شيء، ولقد سجل لنا القرآن عنهم جانبا من اعترافهم في أكثر من موضع.

هذا : ولقد اختلف أهل العلم حول هذا الاسم الكريم هل هو مشتق أم لا ؟ على قولين :

القول الأول : ذهب جماعة [٤] : إلى أن الألف واللام لازمة ولا يجوز حذفهما، ألا ترى أنك تقول يا الله، ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام[٥]، ذلك لأن الألف واللام من بنية الاسم، وأنهما لم يدخلا للتعريف، لأن حروف

(٢) الحديث أخرجه الترمذي. ك. الدعوات. ب. ما جاء في عقد التسبيح باليد، راجع : سنن الترمذي ٥/٥٣٠.
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣.
(٤) راجع : الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٢ بتصرف يسير.
(١) ممن قال بهذا : الشافعي، والخطابي، وإمام الحرمين، والغزالي، وغيرهم.
(٢) انظر : الجامع لأحكام القران ١/ ٧٣، وتفسير ابن كثير ١/ ١٢٣.

النداء لا تجتمع مع الألف واللام التي للتعريف، فلا يصح أن نقول : يا الرحمن، ويا الرحيم، بخلاف قولنا يا الله [١].

والحق أن هذا الكلام هنا يؤيده ما سبق من اختصاص الله سبحانه بهذا الاسم، وعليه فإن النفس تطمئن إلى رجحان كون الاسم الكريم علما موضوعا لما وضع له، وليس مشتقا كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء.

القول الثاني : ذهب آخرون[٢] إلى القول باشتقاق لفظ الجلالة، ومع هذا فإنهم اختلفوا في أصل هذا الاشتقاق، فقيل : هو مشتق من أله لأن أصله إلاه، فأدخلت الألف واللام عوضا عن الهمزة، وقيل : بأنه مشتق من وله بفتح اللام والهاء، بمعنى تحير، لأن أصله ولاه بكسر الواو، وأن الهمزة مبدلة من واو، كما أبدلت في إشاح ووشاح، وعلى هذا فالله ﷻ تتحير العقول في كنه ذاته وصفاته [٣].

وقال الألوسي : إن أصل لفظ الجلالة الكناية ـ أي ضمير الغيبة هو ـ لأنها للغائب، والله سبحانه لا تدركه الأبصار أو تحيط به الأفكار، كذلك فإن الهاء تخرج مع الأنفاس، من ثم : فهو المذكور وإن لم تشعر به الحواس، ومتى انقطع خروجه انقطعت الحياة، وحل بالحي الممات فبه قوام الأرواح والأبدان، فالأصل إذن (هو) حيث لا يبقى سواه [٤].

هذا : ولقد ذكر بعض أهل العلم : أن اسم الجلالة ينبغي أن يمسك عن الكلام في معناه تعظيما وإجلالا، ولتوقف الكلام فيه على إذن الشارع [٥].

---

(٣) راجع : تفسير القرطبي ٧٣/١، ومعالم الإيمان في تفسير أم القرآن للأستاذ الدكتور / محمد جبريل ص ٤١ بتصرف يسير.
(٤) ممن قال بهذا : سيبويه، والخليل، والكسائي، والفراء، وغيرهم.
(٥) راجع : الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٠٢ – ١٠٣.
(١) انظر : ضياء الفرقان في تفسير القرآن للأستاذ الدكتور جودة المهدي ١/ ٤٠.
(٢) راجع : التحرير والتنوير ١/ ١٦٦.

ولفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هو المعبود بحق، وهو الذي يألهه كل شيء [١]، ومعنى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ النهي عن أن يعبد شيء غير الله الذي صفته ما وصف به نفسه، والذي له عبادة الخلق، ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ لا إله ولا معبود سواه يعني : ولا تعبدوا شيئا سوى الحي القيوم، الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم [٢].

وقال السمرقندي : قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ أي لا خالق ولا رازق ولا معبود إلا هو، ويقال : الإثبات إذا كان بعد النفي فإنه يكون أبلغ في الإثبات، فلهذا قال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، فبدأ بالنفي، ثم استثنى الإثبات، فيكون ذلك أبلغ [٣]، لأن قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ نفي الألوهية عن كل ما سواه، وإثبات الألوهية له سبحانه، وذلك كقول القائل : لا كريم إلاّ زيد فإن هذا أبلغ من قول القائل زيد كريم. وأيا ما كان فقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، مخرجة مخرج النفي أن يصح إله سوى الله، وحقيقته إثبات إله واحد، وهو الله، وتقديره : الله الإله دون غيره [٤].

كما أنها تعتبر مقررة للوحدانية له جل ذكره، لأنه لما كان سبحانه موليا لجميع النعم أصولها وفروعها، وكان ما سواه مفتقرا إليه في وجوده، تحققت وحدانيته بلا ريب، وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا [٥].

(٣) انظر : جامع البيان ١/ ٨٢.
(٤) راجع : المصدر السابق ٣/ ٦.
(٥) انظر : بحر العلوم ١/ ٢٢٢.
(١) انظر : النكت والعيون ١/ ٣٢٣.
(٢) راجع : تفسير أبي السعود ١/ ٢٩٢.

وقوله ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ أي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، وأما سواه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وأما ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ فمعناه القائم برزق ما خلق وحفظه [١]

وقيل : قوله ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ فيه أربعة تأويلات : الأول : أنه سمى نفسه حيا لصرفه الأمور مصارِفها، وتقدير الأشياء مقاديرها، فهو حي بالتقدير، الثاني أنه حي بحياة هي له صفة، الثالث : أنه اسم من أسماء الله تَسمى به، فقلناه تسليما لأمره، الرابع : أن المراد بالحي الباقي [٢].

وأما ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ فقد قرئت القيام [٣]، وفي تأويل ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ ستة أقوال : الأول : أنه القائم بتدبير خلقه، الثاني : أنه القائم على كل نفس بما كسبت، الثالث : أنه القائم الوجود، الرابع : هو الذي لا يزول ولا يحول، الخامس : أنه العالم بجميع الأمور، السادس : أنه اسم من أسماء الله مأخوذ من الاستقامة[٤]

وقيل : ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ أي : الباقي على الأبد، الدائم بلا زوال، وهو الذي لم يزل موجودا، وبالحياة موصوفا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعتريه الموت بعد حياة، وسائر الأحياء يعتريهم الموت والعدم، فكل شيء هالك إلاّ وجهه ﷻ، وأما ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ فقيل : هو القائم على كل شيء، **وقيل** : أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه، **وقيل** : هو القائم الدائم بلا زوال، الموجود الذي يمتنع عليه التغيير [٥].

---

(٣) انظر : جامع البيان ٣/ ٧.
(٤) راجع : النكت والعيون ١/ ٣٢٣.
(٥) قرأ بهذا ابن مسعود وعلقمة والأعمش وغيرهم على أنها صيغة مبالغة، ومعناها المبالغ في القيام بتدبير الخلق وحفظه، ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة، انظر اتحاف فضلاء البشر ٤٤٧/١، وتفسير القرطبي ٣/ ١٧٧.
(٦) راجع : النكت والعيون ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.
(١) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩ بتصرف يسير.

وقال ابن عطية : ﴿ **ٱلۡحَيُّ** ﴾ صفة من صفات الله تعالى ذاتية، وذكر الطبري، عن قوم أنهم قالوا : الله تعالى حي لا بحياة، وهذا قول المعتزلة، وهو قول مرغوب عنه، وحكي عن قوم : أنه حي بحياة هي صفة له، وحكي عن قوم : أنه حي كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه.

وأما ﴿ **ٱلۡقَيُّومُۚ** ﴾ فهو فيعول من القيام أصله (قيووم) اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء، وقيوم بناء مبالغة أي : هو القائم على كل أمر بما يجب له [1].

وقيل : قوله ﷻ ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ فإنما يدل على الوحدانية التي لا مجال فيها لأي انحراف، أو لبس مما طرأ على الديانات السابقة بعد الرسل.

وأما ﴿ **ٱلۡحَيُّ** ﴾ فتعني الحياة الذاتية التي لم تأت من مصدر آخر، كحياة الخلائق الموهوبة من الخالق، كما أنها الحياة الأزلية الأبدية، التي لا تبدأ من مبدأ، ولا تنتهي إلى نهاية، ثم إنها الحياة المطلقة من الخصائص التي اعتاد الناس أن يعرفوا بها الحياة، فالله جل جلاله ليس كمثله شيء.

وأما ﴿ **القيوم** ﴾ فهذه الصفة تعني قيامه سبحانه على كل موجود، كما تدل على قيام كل موجود به، فلا قيام لشيء إلا مرتكنا إلى وجوده وتدبيره، وليس كما كان يتصور (أرسطو) أن الله لا يفكر في شيء من مخلوقاته، و**من ثم :** يظل ضمير المسلم وحياته ووجوده ووجود كل شيء من حوله مرتبطا بالله الذي يصرف أمره وأمر كل شيء وفق حكمته ومشيئته [2].

(٢) راجع : المحرر الوجيز ١/ ٣٤٠.
(١) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ بتصرف يسير.

وقوله ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ **قال ابن جرير** : أي : لا يأخذه سبحانه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوما، ذلك لأن الوسن خثورة [1] النوم، فالله ﷻ لا تحله الآفات، ولا تناله العاهات.

ثم قال : فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾ الذي لا يموت، ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ على كل ما هو دونه بالرزق، والكلاءة، والتدبير، والتصريف من حال إلى حال، ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أي : لا يغيره ما يغير غيره، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوبا مقهورا، ولو وسن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكا، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنوم شاغل المدبر عن التدبير، والنعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه [2].

وقيل : قوله ﷻ ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس، أي : لا يأخذه نعاس فضلا عن أن يأخذه نوم، أو يكون نفى الأخص أولا، ثم نفى الأعم، ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولا ضمنا، ثم ثانيا صريحا، ولو اقتصر على نفي الأخص لم يلزم منه نفي الأعم والمعنى : أنه لا يفتر عن تدبير الخلق [3].

والحق أن الله ﷻ قائم على كل شيء، وكل شيء قائم به ﷻ، ولا يعتريه سنة خفيفة، أو نوم مستغرق، وأنه ﷻ منزه عنهما تنزيها مطلقا، لأن حقيقة القيام

---

(٢) الخثورة : نقيض الرقة، يقال : خثر اللبن والعسل ونحوهما، إذا ثقل وتجمع، والمجاز منه قولهم : فلان خاثر النفس، أي ثقيلها، فيكون غير طيب ولا نشيط، والمعنى قد فتر فتورا، ولقد استعمله الطبري استعمالا بارعا، فجعل للنوم خثورة، وهي شدة الفتور، كأنه زالت رقته فثقل، وهذا تعبير لم يستعمله قبله، راجع : تحقيق العلامة أحمد شاكر ـ يرحمه الله ـ لجامع البيان ٥/ ٣٨٩.

(٣) انظر : جامع البيان ٣/ ٨ ـ ٩.

(١) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٣ ـ ١٤ بتصرف.

على هذا الوجود لا تكون إلا بكلياته وجزئياته في كل وقت، وفي كل حالة من حالاته [١].

أخرج أصحاب السنن عن أبي موسى ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، وفي رواية أبي بكر : النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) [٢].

وقيل : لما بين أنه حي قيوم أكد ذلك بقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أي إنه لا يغفل عن تدبير الخلق، فقوله هذا كالتأكيد لبيان كونه تعالى قائما [٣] والجملة نفي للتشبيه، وتنزيه له ﷻ أن يكون له مثل من الأحياء، وفيها تأكيد لكونه ﷻ حيا قيوما، لأن النوم آفة تنافي دوام الحياة وبقاءها، وصفاته تعالى قديمة لا زوال لها، ولأن من يعتريه النوم والغلبة لا يكون واجب الوجود، ولا عالما مستمر العلم، ولا حافظا قوي الحفظ [٤].

وإذا كانت السنة أول النوم، والنوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، أو إذا كان النوم عبارة عن ريح تخرج من أعصاب الدماغ فإذا وصلت العينين حصل النعاس، وإذا وصلت إلى القلب حصل النوم، فكل هذا وما شابهه محال على الله تعالى، لأن الكل يدل على الآفة، ويدل على التغير

(٢) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٧ بتصرف يسير.
(٣) الحديث أخرجه مسلم وغيره واللفظ له. ك. الإيمان. ب. قوله ﷺ (إن الله لا ينام...)، راجع : صحيح مسلم بشرح النووي ٣ / ١٣.
(٤) راجع : التفسير الكبير ٧/ ٦.
(١) راجع : روح المعاني ٣/ ٨.

(١)، والله ﷻ منزه عنهما، لأنه سبحانه لا يلحقه خلل بحال من الأحوال ولا يغفل عن تدبير شيء من أمر خلقه .

قال ابن عاشور : وجملة ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ مقررة لمضمون جملة ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ولرفع احتمال المبالغة فيها، فالجملة منزلة منزلة البيان لمعنى الحي القيوم، ولذلك فصلت عن التي قبلها.

ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم، فإن السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير، وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس، والمقصود أن الله لا يحجب علمه شيء حجبا ضعيفا، ولا طويلا، ولا غلبة، ولا اكتسابا (٢).

ولما بين كونه ﷻ قائما بذاته، مقوما لغيره، رتب عليه حكما : وهو أن ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي حكمه في الكل جار، ليس لغيره في شيء من الأشياء حكم إلا بإذنه وأمره، وهو سبحانه مستغن عن الشريك، بل إن كل ما في السموات والأرض يدل على وحدانيته، وهذا القول إخبار منه ﷻ أن له ما في السموات والأرض، ملكا، وخلقا، وهذا تكذيب للذين زعموا أن لله ولدا، لأن جميع ما في السموات والأرض مقرة بدلالتها على ربها وخالقها.

(٢) انظر : اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٣١٨.
(٣) راجع : التحرير والتنوير ٣/ ١٩ ـ ٢٠.

يقول ابن جرير : قوله ﷻ ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ أي : أنه مالك جميع ذلك، بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه، فلا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلا بأمره، فجميع ما في السموات والأرض ملكه وخلقه، ولا ينبغي أن يعبد أحد من خلق الله غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه [1].

وقال البيضاوي : قوله ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ تقرير لقيومته واحتجاج به على تفرده في الألوهية، والمراد بما فيهما داخلا في حقيقتهما، أو خارجا عنهما متمكنا فيهما، فهو أبلغ من قوله : ﴿ **له السموات والأرض وما فِيهِن** ﴾ [2].

وقال الخازن : قوله ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يعني أن الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع، وهو خالقهم، وهم عبيده، وفي ملكه، فإن قلت : لم قال ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ولم يقل ﴿ **من في السموات** ﴾ ؟ قلت : لما كان المراد إضافة كل ما سواه إليه من الخلق والملك، وكان الغالب فيهم من لا يعقل، أجرى الغالب مجرى الكل، فعبر عنه بلفظ ما [3].

وقال صاحب البحر : اللام في قوله ﴿ لَّهُۥ ﴾ للملك، و ﴿ مَا ﴾ للعموم، وتشمل كل موجود، ولقد أخبر سبحانه أن مظروف السموات والأرض ملك له تعالى، وكرر ﴿ مَا ﴾ للتوكيد.

وذكر المظروف هنا دون ذكر الظرف، لأن المقصود نفي الألوهية عن غير الله تعالى، وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره، لأن ما عبد من دون الله من

(١) انظر : جامع البيان ٣/ ١٠.
(٢) راجع : تفسير البيضاوي ١/ ١٤٣.
(١) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٢٦٩.

الأجرام النيرة كالشمس، والقمر، والشعرى، والأشخاص الأرضية، كالأصنام وبعض بني آدم، كل منهم ملك لله تعالى مربوب مخلوق [١].

يقول ابن عاشور : المراد بالسماوات والأرض هنا : استغراق أمكنة الموجودات، وهذه الجملة تقرير لانفراده بالألوهية، إذ جميع الموجودات مخلوقاته، وتعليل لا تصافه بالقيومية، لأن من كانت جميع الموجودات ملكا له فهو حقيق بأن يكون قيومها، ولذلك فصلت هذه الجملة عن التي قبلها [٢].

وقال الألوسي : قوله ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ تقريرا لقيوميته ﷻ، والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما، فيعلم من الآية نفي كون الشمس والقمر وسائر النجوم والملائكة والأصنام والطواغيت آلهة مستحقة للعبادة [٣].

وقيل : هذه الجملة الكريمة تدل على الملكية الشاملة، وعلى الملكية المطلقة، الملكية التي لا يرد عليها قيد ولا شرط ولا شركة، وهي نفي للشركة في صورتها التي ترد على أذهان الناس ومداركهم.

كما أنها ذات أثر في إنشاء معنى الملكية وحقيقتها في دنيا الناس، فإذا تمحصت الملكية الحقيقية لله، لم يكن للناس ملكية ابتداء لشيء، إنما كان لهم استخلاف من المالك الذي يملك كل شيء، وهذا كفيل بأن يسكب في النفس القناعة بما يحصل من الرزق، وأن يفيض على القلب الطمأنينة، فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع [٤].

---

(٢) راجع : البحر المحيط ٢/ ٢٨٨.
(٣) انظر : التحرير والتنوير ٣ / ٢٠.
(٤) راجع : روح المعاني ٣/ ٩.
(١) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ بتصرف.

وبعد أن قرر الله تعالى قيوميته على خلقه بملكه للسماوات والأرض وما فيهما دون شريك، بين بعد ذلك كبرياء شأنه، وعظمة قدره ﷻ، وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة أو غيرها، فقال ﷻ : ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾.

وتأويل هذا : أن المشركين قالوا : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله لهم : لي السموات والأرض وما فيهما ملكا، فلا ينبغي العبادة لغيري، ولا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي، ولا تغني عنكم شيئا، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه (١).

وقال النيسابوري : الاستفهام في قوله ﷻ : ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾ للإنكار، أي : لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته، وفي هذا رد على المشركين القائلين للأصنام ﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ يونس : ١٨، ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه إلا بأمره (٢).

وقال البقاعي : هذه الجملة الكريمة تضمنت إنكارا على من ربما توهم أن شيئاً يخرج عن أمره فلا يكون مختصا به، فقوله ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾ أي مما ادعى الكفار شفاعته وغيره، ﴿ **إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾ أي بتمكينه، لأن من لم يقدر أحد على مخالفته كان من البين أن كل شيء في قبضته، وكل ذلك دليل على تفرده بالإلوهية (٣).

(٢) راجع : جامع البيان ٣/ ١٠.
(١) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٤.
(٢) راجع : نظم الدرر ٤/ ٣١ ـ ٣٢.

والمقصود من هذا القول : بيان كبرياء الله تعالى، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه، بحيث يستقل أن يدفع ما يريده، دفعا على وجه الشفاعة والاستكانة، وفي ذلك تأييس للكفار حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله تعالى [١].

قال ابن عاشور : المعنى أنه لا يشفع عنده أحد بحق وإدلال، لأن المخلوقات كلها ملكه، ولكن يشفع عنده من أراد أن يظهر كرامته عنده، فيؤذنه بأن يشفع فيمن أراد العفو عنه، ولذلك جاء في حديث الشفاعة أن رسول الله ﷺ يأتيه الناس ليكلم ربه ليخفف عنهم هول الموقف، فيسجد تحت العرش ويتكلم بكلمات يعلمه الله تعالى إياها [٢]، فسجوده استئذان في الكلام، ولا يشفع حتى يقال : اشفع، وتعليمه الكلمات مقدمة للإذن [٣].

وهذا القول يدل على ثبوت الشفاعة ووقوعها، خلافا لمن أنكرها، والإذن هنا يعد من الشروط المتفق عليها عند أهل العلم فيمن تتحقق له، وتتميما للفائدة أذكر أنواع الشفاعة وشروطها ـ إجمالا ـ ومن تتحقق لهم فأقول :

أولا : أنواع الشفاعة :

ذكر أهل العلم أن الشفاعة تقع على ثمانية أنواع تتمثل فيما يلي :

١. الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ، فيقول : (أنا لها [٤]، أنا لها [٥])، وذلك حين

(٣) انظر : روح المعاني ٣/ ٩.
(٤) راجع : حديث الشفاعة على سبيل المثال : البخاري عن أنس بن مالك ﷺ. ك. التفسير. ب. ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾، فتح الباري ٨/ ١٠، ومسلم عن أنس ﷺ ـ أيضا ـ. ك. الإيمان. ب. أدنى أهل الجنة، صحيح مسلم. ط. دار إحياء التراث العربي ١/ ١٨٠، وأحمد في مسنده عن أبي بكر ﷺ، المسند ١٩/ ١٩٦.
(٥) انظر : التحرير والتنوير ٣/ ٢١.
(١) جزء من حديث طويل مما ذكره سيدنا أنس ﷺ في الشفاعة العظمى، والذي رواه البخاري. ك. التوحيد. ب. كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، انظر : فتح الباري ١٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢، وصحيح مسلم. ك. الإيمان. ب. الشفاعة، راجع : صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٦١ـ ٦٤،
(٢) هذه الزيادة ذكرها أبو داود الطيالسي في مسنده، فصل : ما أسنده أبو نضرة عن ابن عباس ﷺ، انظر : مسند أبي داود الطيالسي ٤/ ٤٣٠.

يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم، حتى يريحهم من مقامهم في الموقف، وهذه الشفاعة تختص به ﷺ لا يشركه فيها أحد [١]

٢. شفاعته ﷺ في أن يؤذن لأهل الجنة بدخول الجنة.

٣. شفاعته ﷺ في دخول أقوام الجنة بغير حساب.

٤. شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥. شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم في دخول الجنة.

٦. شفاعته ﷺ في أقوام استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها.

٧. شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

٨. شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

وهذه الأنواع قد دلت عليها النصوص من الكتاب والسنة، ومنها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمى، وشفاعته ﷺ في عمه أبي طالب، وشفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها، ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والشهداء والصالحين، كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها، على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ﷺ ببعضها من عدمه، والله أعلم [٢].

ثانيا : شروط الشفاعة :

الشفاعة لا تتحقق إلا إذا توفرت لها شروط قبول وهي :

١. إذن الله للشافع أن يشفع، يدل على هذا الشرط الجملة الكريمة من الآية

(٣) راجع : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(١) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

التي بين أيدينا.

٢. رضى الله تعالى عن الشافع، يدل على هذا قوله تعالى﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ النجم : ٢٦.

٣. رضى الله عن المشفوع له، يدل على هذا قوله ﷻ ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ الأنبياء : ٢٨.

٤. إسلام المشفوع له، يدل على هذا قوله عز من قائل ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨.

٥. قدرة الشافع على الشفاعة، يدل على هذا قوله ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الزخرف: ٨٦.

ثالثا : لمن تكون الشفاعة ؟

١. الذين يكثرون من الصلاة والسلام علي النبي ﷺ، لقوله ﷺ : (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) [١].

٢. من واظب على سؤال الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود للنبي ﷺ عقب كل أذان، يدل على هذا قوله ﷺ : (... ثم سلوا الله لي الوسيلة... فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) [٢]

٣. أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ : السبعون ألفا الذين يسبقون إلى الجنة بلا حساب ولا عذاب، لقوله ﷺ : (وعدني ربي ﷻ أن يدخل الجنة من

(١) الحديث أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ. ك. الصلاة. ب. ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، انظر : سنن الترمذي ٢/ ٣٥٤.
(٢) الحديث أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ. ك. الصلاة. ب. استحباب القول مثل قول المؤذن، راجع : صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٨٥

أمتي سبعين ألفا بغير حساب، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثيات ربي ﷻ) [1]

٤. الشفاعة لا تكون إلا لأهل الإيمان، ولا يلزم من هذا أن يكون هؤلاء من السابقين إلى الجنة، لأنه قد يكون العبد كذلك ولديه من الذنوب ما يستوجب به دخول النار، فيشفع له في عدم دخولها، أو يدخل النار، ثم يشفع له في الخروج منها.

٥. الشفاعة لا تنال المشرك، لقوله ﷺ (... أشهدكم أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا) [2].

وبعد أن جذب الله قلوب عباده إليه، بين ﷻ بعد ذلك أنه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له، لأنه ﷻ لا تخفى عليه خافية، فقال : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي : أنه محيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن، لا يخفى عليه شيء منه، سواء كان ذلك من أمر الدنيا، أم من أمر الآخرة.

قال السمرقندي : الله لا إله إلا هو الحي القيوم، هو الذي يعلم ما بين أيديهم من أمر الدنيا، قال مقاتل : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي ما كان قبل خلق الملائكة، ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي ما يكون بعد خلقهم، وقال الزجاج : يعني يعلم الغيب الذي تقدمهم، والغيب الذي يأتي من بعدهم، وقال الكلبي : يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا [3].

وقال الماوردي : قوله تعالى ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ يحتمل وجهين : الأول : ما بين أيديهم، أي : ما قبل خلقهم، وما خلفهم، أي : ما كان

(٣) الحديث أخرجه أحمد عن أبي أمامة الباهلي ﷺ، انظر : المسند ٣٦/ ٦٣٩.
(٤) الحديث أخرجه أحمد والطبراني وعبد الرزاق وغيرهم، واللفظ للطبراني عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ، راجع : المعجم الكبير ١٨/ ٧٤.
(١) راجع : بحر العلوم ١/ ٢٢٣.

بعد موتهم، والثاني : ما بين أيديهم، أي : ما أظهروه، وما خلفهم، أي ما كتموه [١].

وقال الرازي : هذا القول يحتمل وجوها : الأول : أنه سبحانه يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا، وما يكون بعدهم من أمر الآخرة، الثاني : ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي : الآخرة، لأنهم يقدمون عليها، ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي : الدنيا، لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، الثالث : ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي : من السماء إلى الأرض ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي : ما في السموات، الرابع : ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي : بعد انقضاء آجالهم، ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي : ما كان من قبل أن يخلقهم، الخامس ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي : ما فعلوا من خير وشر، ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي : ما يفعلونه بعد ذلك [٢].

وقال ابن عاشور : المراد بما بين أيديهم وما خلفهم : ما هو ملاحظ لهم من المعلومات، وما خفي عنهم، أو ذهلوا عنه منها، أو ما هو واقع بعدهم، وما وقع قبلهم، وأما علمه بما في زمانهم فأحرى، وأيا ما كان : فاللفظ مجاز، والمقصود عموم العلم بسائرِ الكائنات.

وضمير (أيديهم) و(خلفهم) عائد على قوله ﷻ ﴿ **مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ بِتغليب العقلاء من المخلوقات، أو يكون عائدا على خصوص العقلاء من عموم ما في السموات وما في الأرض، فيكون المراد ما يختص بأحوال البشر، لأن العلم من أحوال العقلاء [٣].

(٢) انظر : النكت والعيون ١/ ٣٢٤.
(١) راجع : التفسير الكبير ٧/ ١٠ ـ ١١.
(٢) انظر : التحرير والتنوير ٣/ ٢٢.

وقيل : علم الله الذي يشمل ما بين أيديهم وما خلفهم من شأنه أن يحدث في النفس رجة وهزة، ذلك لأنها تقف عارية في كل لحظة أمام بارئها الذي يعلم ما يحيط بها من ماض وآت، مما لا تعلمه هي ولا تدريه، وهذا جدير بأن يتدبر الناس طويلا خاصة من يفتنون في هذه الأيام بالعلم في جانب بسيط من جوانب الكون والحياة [١].

ولما بين ﷻ قهره لخلقه بعلمه، بين عجزهم عن كل شيء إلا ما أفاضه ﷻ عليهم، فقال : ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ** ﴾ أي : لا يحيطون بشيء قليل كان أو كثير من أي علم، فبان بذلك عجزهم، لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، ولو أراد أن يمنع من تحصيل القليل فضلا عن الكثير ما منعه أحد، ولا حجبه حاجب، لأن كل شيء في قبضته [٢].

يقول ابن جرير : قوله ﷻ ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ** ﴾ أي إنه سبحانه العالم الذي لا يخفي عليه شيء، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا بما شاء هو أن يعلمه، وإنما يعني بذلك : أن العبادة لا ينبغي أن تكون لمن كان بالأشياء جاهلا، فكيف يعبد من لا يعقل شيئا البتة من وثن وصنم ؟ وكأنه يقول : أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، ويعلم صغيرها وكبيرها، ولا يخفي عليه شيء منها [٣].

وقال النيسابوري : الشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله، ولا يعلمون أن الله تعالى أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا، لأنهم لا يحيطون بشيء من معلوماته، إلا بما علم كقوله :

---

(٣) راجع : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٩ بتصرف يسير.
(١) راجع : نظم الدرر ٤/ ٣٢ ـ ٣٣.
(٢) انظر : جامع البيان ٣/ ١٠ ـ ١١ بتصرف يسير.

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ البقرة : ٣٢، ويحتمل أن يراد أنهم لا يعلمون الغيب إلا بإعلامه لهم كقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الجن : ٢٦ – ٢٧، وإذا كان الشفعاء وهم الملائكة، والأنبياء، لا يعلمون شيئاً إلا بتعليم الله، فغيرهم بعدم العلم أولى [١].

وقال ابن عطية : قوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هذا كقول الخضر لنبي الله موسى عليه السلام حين نقر العصفور من على حرف السفينة: (ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلا مثلما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر) [٢]، فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات، لأن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض، ومعنى الآية، لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه [٣].

وقال الخازن : المراد بالعلم في قوله جل جلاله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦ ﴾ المعلوم، والمعنى أن أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم، وهم من الأنبياء، والرسل، ليكون ما يطلعهم عليه دليلا على نبوتهم كما قال الله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الجن : ٢٦ – ٢٧ [٤].

وقال الألوسي : والمعنى لا يعلم أحد كنه شيء من معلوماته تعالى ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أن يعلم، وعطفت هذه الجملة على ما قبلها لمغايرتها له، لأن ذلك يشعر بأنه سبحانه يعلم كل شيء، وهذه تفيد أنه لا يعلمه غيره، ومجموعهما

---

(٣) راجع : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٥.
(١) الحديث أخرجه البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه. ك. التفسير. ب. **﴿ فلما بلغا مجمع بينهما... ﴾**، انظر : فتح الباري ٨/ ٢٦٤.
(٢) راجع : المحرر الوجيز ١/ ٣٤١.
(٣) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ١٩٠.

دال على تفرده تعالى بالعلم الذاتي، الذي هو من أصول صفات الكمال، التي يجب أن يتصف الإله تعالى شأنه بها بالفعل (١)

والذين يحيطون بعلم الله هنا بعد مشيئته : يحتمل أن يكون الملائكة، كما في سورة البقرة، أو يكونوا هم وسائر من يشفع يوم القيامة من النبيين، كما في سورة الجن، وكذلك الصديقون، والأولياء، والصالحون، والله أعلم.

ومما لا شك فيه : أن الله وحده هو الذي يعلم كل شيء علما مطلقا، وهو سبحانه الذي يأذن فيكشف للعباد عن شيء من علمه بقدر، تصديقا لوعده ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت : ٥٣، لكن الكثير من الناس فتنوا بما أذن الله لهم فيه، والحق أنه بقدر ما أذن لهم، بقدر ما زوى عنهم، من أشياء لا حاجة له بها، فزوى عنهم سر الحياة، وزوى عنهم سر اللحظة القادمة، وجعلها غيب لا سبيل لهم إليها (٢).

وبعد أن بين الله ﷻ كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الأرض، بين أن ملكه فيما عداهما أعظم وأجل، وأن ذلك مما لا تصل إليه أوهام المتوهمين فقال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، يقال : وسع فلان الشيء : إذا احتمله وأطاقه، وأمكنه القيام به، قال ﷺ : (والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني) (٣) (٤).

أخرج السيوطي عن الربيع بن أنس ﷺ لما نزل قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض، فكيف العرش ؟ فأنزل الله تعالى قوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ

(٤) راجع : روح المعاني ٣/ ٩.
(١) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٨٩ بتصرف.
(٢) الحديث أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ، راجع : المسند ٢٣/ ٣٤٩.
(٣) انظر : تفسير النيسابوري ٢/ ١٥، وتفسير الرازي ٧/ ١١.

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر : ٦٧ (١).

هذا : ولقد اختلف أهل العلم حول تأويل (الكرسي) على أقوال تتمثل فيما يلي :

قال بعضهم : الكرسي : هو علم الله تعالى، وقيل : هو العرش نفسه، ولكن الذي يدل على صحته ظاهر القرآن قول ابن عباس ﷺ من أنه علم الله تعالى، وذلك لدلالة قوله ﷻ ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾، حيث أخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم، وأحاط به مما في السموات والأرض، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ غافر : ٧ فأخبر تعالى أن علمه وسع كل شيء، فكذلك ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (٢).

وقال النيسابوري : وللمفسرين في تأويل هذا القول الكريم أقوال : فعن الحسن أنه جسم عظيم يسع السموات والأرض، وهو نفس العرش، لأن السرير قد يوصف بأنه عرش وبأنه كرسي، لأن كل واحد منهما يصح التمكن عليه.

وقيل : إنه دون العرش وفوق السماء السابعة، وقد وردت الأخبار الصحيحة بهذا، وعن السدي أنه تحت الأرض، وقيل : المراد من الكرسي أن السلطان والقدرة والملك له، لأن الألوهية لا تحصل إلا بهذه الصفات.

وقيل : المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه، ولا كرسي ثم، ولا قعود، ولا قاعد، واختاره جمع من المحققين، وتقريره : أنه ﷻ يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا في ملوكهم، فمن ذلك أنه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم، وأمر الناس بزيارته كما يزور

(٤) راجع : تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٩١، ولباب النقول في أسباب النزول ص ٢٢٤.
(١) انظر : جامع البيان ٣/ ١١ ـ ١٢.

الناس بيوت ملوكهم، وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه، ثم جعله مقبل الناس كما تقبل أيدي الملوك.

وكذلك كل ما ذكر في القيامة من حضور الملائكة، والنبيين، والشهداء ووضع الموازين، وعلى هذا أثبت لنفسه ﷻ عرشا، فقال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه : ٥ وقال ﷻ : ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ هود : ٧، وقال ﷻ : ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ الزمر : ٧٥، وقال ﷻ : ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧﴾ الحاقة : ١٧، ثم أثبت لنفسه كرسيا، ولما توافقنا أن المراد من الألفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة، والطواف، والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه، فكذا الألفاظ الواردة في العرش، والكرسي[1].

وقال الماوردي : في تأويل الكرسي قولان : الأول : أنه من صفات الله تعالى، الثاني : أنه من أوصاف ملكوته، **فإذا قيل** : أنه من صفاته تعالى ففيه أربعة أقوال : الأول : أنه علم الله، الثاني : أنه قدرة الله، الثالث : أنه ملك الله الرابع : أنه تدبير الله.

وإذا قيل بأنه من أوصاف ملكوته ﷻ : ففيه ثلاثة أقوال : الأول : أنه العرش، الثاني : أنه سرير دون العرش، الثالث : هو كرسي تحت العرش، والعرش فوق الماء، والعرب تسمي أصل كل شيء الكرسي، أو لأنه تسمية للشيء باسم مكانه، فإن الملك مكانه الكرسي [2].

(١) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٥- ١٦.
(٢) راجع : النكت والعيون ١/ ٢٥٥.

قال ابن عطية : والذي تقتضيه الأحاديث : أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وقد قال رسول الله ﷺ : (ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) [١]، وقال أبو ذر ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة) [٢]، وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى، والمستفاد من ذلك عظم قدرته ﷻ [٣].

وقال الرازي : اختلف المفسرون في معنى الكرسي على أربعة فقيل : **هو** جسم عظيم يسع السماوات والأرض، ثم اختلفوا فيه، فقال الحسن : الكرسي هو نفس العرش، لأن السرير قد يوصف بأنه عرش، وبأنه كرسي.

وقيل : الكرسي غير العرش، ثم اختلفوا فمنهم من قال : إنه دون العرش وفوق السماء السابعة، وقال آخرون : إنه تحت الأرض، وإذا كان لفظ الكرسي قد ورد في الآية، وجاء في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة، فلا امتناع من القول به [٤].

وقال البيضاوي : قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ تصوير لعظمته، وتمثيل مجرد، ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد، **وقيل** : كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه، **وقيل** : هو جسم بين يدي العرش، محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام : (ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة

(٣) الحديث ذكره ابن جرير في تفسيره ٣/ ١٢، وابن كثير ١/ ٦٨٠.
(١) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر ﷺ. ك. البر والإحسان. ب. ما جاء في الطاعات وثوابها، انظر : صحيح ابن حبان ٢/ ٧٧.
(٢) راجع : المحرر الوجيز ١/ ٣٤٢ بتصرف يسير.
(٣) انظر : التفسير الكبير ٧/ ١٢ بتصرف يسير.

بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) [١]، ولعله الفلك المشهور بفلك البروج [٢].

وقال الألوسي : الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع، يدل على هذا ما روي عن ابن عباس ﷺ قال : (لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن، ثم وصلن بعضهن إلى بعض، ما كن في سعته ـ يعني الكرسي ـ إلا بمنزلة الحلقة في المفازة) [٣] [٤].

أقول : والكرسي غير العرش، يدل على هذا ما رواه أبو نعيم وابن حبان عن أبي ذر ﷺ أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي فقال : (يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على الحلقة) [٥].

وقيل : الكلام مساق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى، وسعة سلطانه، وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة، ففي الكلام استعارة تمثيلية، وهذا التأويل اختاره جم غفير من الخلف فرارا من توهم التجسيم، وحملوا الأحاديث التي ظاهرها حمل الكرسي، على الجسم المحيط [٦].

وقيل : لقد جاء التعبير في هذه الصورة الحسية، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقا وثباتا، فالكرسي يستخدم عادة في معنى

---

(٤) الحديث أخرجه أبو نعيم عن أبي ذر ﷺ، انظر : حلية الأولياء ١/ ١٦٧، وابن حبان في صحيحه عنه ﷺ. ك. البر والإحسان. ب. ما جاء في الطاعات وثوابها، راجع : صحيح ابن حبان ٢/ ٧٧.
(٥) انظر : تفسير البيضاوي ١/ ١٣٤.
(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٩١، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٩٠
(٢) انظر : روح المعاني ٣/٩ ـ ١٠.
(٣) الحديث سبق تخريجه.
(٤) راجع : روح المعاني ٣/ ١٠.

الملك، فإذا وسع كرسيه السماوات والأرض، فقد وسعهما سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية، ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن، والحق أن هذا كناية عن القدرة الكاملة [1].

أقول : ومع أن أئمة المفسرين قد اجتهدوا في تأويل الكرسي إلا أنني لم أقف على حديث صحيح في شأنه يعتمد عليه، ومع هذا فأرى ـ والله أعلم ـ أن هذا وما شابهه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، فيجب الإيمان به، والتسليم بمراد الله فيه، ونقول مثل ما قال سادتنا في الاستواء : الكرسي معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب.

وبعد أن لفت الله أنظار عباده إلى عظمته، وسعة سلطانه قاطبة، بين بعد ذلك جانبا آخر من جوانب عظمته وقدرته المطلقة على جميع خلقه، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

وتأويل هذا : أن الله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يثقل عليه شيء من حفظهما، ولا من أمرهما، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ أي : ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ أي : ذو العظمة الكاملة، فلا شيء أعظم منه.

وقيل : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ بارتفاع مكانه فوق جميع خلقه، كما وصف نفسه أنه على العرش، فهو بذلك عال عليهم، أو هو ﴿ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ عن النظير والأشباه ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي كمل في عظمته ﷻ، لذلك فإن خلقه يهابونه ويتقونه [2]

(٥) انظر : في ظلال القرآن ١/ ٢٩٠.
(١) راجع : جامع البيان ٣/ ١٤ ـ ١٥ بتصرف.

وقال النيسابوري : بين الله تعالى أنه مع كونه مقوما للممكنات، مقيما للأرضين والسموات، متعال عن المتحيزات ومقدس عن الزمنيات، فقال ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ والمراد منهما : علو الرتبة، وعظمة الشرف، لا الحيز والجهة وكيف لا ؟ وهو مقيم للمكان، ومديم للزمان [١].

وقال الماوردي : في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ تأويلان : أحدهما : العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان، والثاني : العلي عن الأشباه والأمثال [٢].

وقال الخازن : قوله ﷻ ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه في حفظه لهما، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ بالإطلاق، المتعالي عن الأشباه والأنداد والأضداد، وقيل : العلي : بالملك والسلطنة والقهر، فلا أحد أعلى منه وقيل : معنى العلو في صفة الله تعالى : منقول إلى اقتداره، وقهره، واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه.

وقيل معناه : أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين، ﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي : أنه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه، وقال ابن عباس : العظيم الذي قد كمل في عظمته، وقيل : ذو العظمة والجلال والكمال [٣].

وقال ابن كثير : قوله تعالى ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي : لا يثقله حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، فهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، والأشياء كلها بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا

(٢) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٦.
(١) راجع : النكت والعيون ١/ ٣٢٦.
(٢) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ١٩٠.

يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا إله غيره، ولا رب سواه، فقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ كقوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ : ٢٣ وكقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ الرعد : ٩ (١)

وقيل : التعبير بقوله : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ كناية عن القدرة الكاملة، ولكنه يجيء في هذه الصورة المحسوسة، لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صور للمعاني تجسمها للحس، فتكون فيه أوقع، وأعمق، وأحس.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ تقرر خاتمة الآية حقيقة تفرد الله تعالى بالعلو، وتفرده سبحانه بالعظمة، فالتعبير على هذا النحو يتضمن معنى القصر والحصر، فتكون مقصورة عليه سبحانه بلا شريك، وما يتطاول أحد إلى هذا المقام إلا ويرد إلى العذاب والهوان، وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان، فإنها تعود به إلى مقام العبودية، وترده إلى مخافة الله، وإلى الشعور بجلاله وعظمته، وإلى الأدب في حقه، فهي اعتقاد، وتصور، وسلوك (٢).

وفي هذه الآية الكريمة مسائل نذكر منها ما يلي :

المسألة الأولى : لم فضلت هذه الآية على غيرها من القرآن الكريم كله ؟

وللجواب عن هذا أقول : فضلت هذه الآية على غيرها من آي القرآن الكريم وسوره لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الألوهية، والوحدانية وغيرهما، والله ﷻ أعظم مذكور، فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار (٣).

(٣) راجع : تفسير ابن كثير ١/ ٦٨١ ـ ٦٨٢ بتصرف يسير.
(١) راجع : في ظلال القرآن ١/ ٢٩٠ بتصرف يسير.
(٢) انظر : تفسير الخازن ١/ ١٨٨.

وقال الرازي : واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم، فكلما كان المذكور والمعلوم أشرف، كان الذكر والعلم أشرف، وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله ﷻ، فلهذا السبب كل كلام اشتمل على نعوت جلاله وصفات كبريائه كان في نهاية الجلال والشرف، ولما كانت هذه الآية كذلك لا جرم كانت بالغة في الشرف إلى أقصى الغايات، وأبلغ النهايات [١].

المسألة الثانية : هل تجوز المفاضلة بين آي القرآن وسوره أم لا ؟

وللجواب عن هذا أقول : اختلف أهل العلم . يرحمهم الله . حول هذه المسألة على قولين :

القول الأول : يرى أصحابه أنه لا فضل لبعض القرآن على بعض لأن الجميع كلام الله، والأفضل يشعر بنقص المفضول، وكلام الله منزه عن ذلك، وممن ذهب إلى هذا الإمام مالك وغيره.

القول الثاني : يرى أصحابه تفضيل بعض الآيات وبعض السور استنادا إلى ما ورد عن النبي ﷺ، لأن الأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بكثرة الثواب لا تحصى، وممن ذهب إلى هذا الإمام القرطبي والغزالي وغيرهما.أ.هـ[٢].

فمن ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ قال : (يس قلب القرآن)[٣] و(فاتحة الكتاب أعظم سور القرآن) [٤]، و(آية الكرسي سيدة آي القرآن الكريم) [١]، و(قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) [٢].

---

(١) راجع : التفسير الكبير ٧/ ٣.
(٢) انظر : الإتقان ٦/٢١٣٩- ٢١٤١، وجواهر القرآن ص ٦٣.
(٣) الحديث أخرجه أحمد عن معقل بن يسار ﷺ، انظر : المسند ٣٣/ ٤١٧.
(٤) الحديث أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ. ك. فضائل القرآن. ب. فضل فاتحة الكتاب، راجع : فتح الباري ٨/ ٦٧١.

وخروجا من هذا يمكن الجمع بين القولين بما يلي :

إذا كانت المفاضلة بين آيات القرآن من حيث الذاتية فهي ممتنعة، ولا تقبل بحال، لأن كلام الله ﷻ في أعلى درجات الإعجاز، وكلامه ﷻ من هذه الجهة سواء.

وأما إن كانت المفاضلة لأمر خارج عن هذه الذاتية كأن تشتمل سورة على أمهات مقاصد القرآن كسورة ﴿ الفاتحة ﴾، أو تشتمل أخرى على تفاصيل الأحكام وإقامة الحجج كسورة ﴿ البقرة ﴾، أو تشتمل ثالثة على بيان نعوت الألوهية وتقرير الوحدانية كسورة ﴿ الإخلاص ﴾، أو تكون المفاضلة راجعة إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها عند ورود أوصاف العلا [٣]، والله أعلم [٤].

المسألة الثالثة : ما السر في ابتداء هذه الآية بلفظ الجلالة ؟

وللجواب عن هذا أقول : هذا الاسم الكريم أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الألوهية كلها، كما أن هذا الاسم أخص الأسماء، لأنه لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا، وأما سائر الأسماء فقد يوصف بها غيره، كالكريم، والرحيم، وغيرهما.

وجيء باسم الذات هنا : لأنه طريق في الدلالة على المسمى المنفرد بهذا الاسم، فإن العلم أعرف المعارف، وذلك لعدم احتياجه في

---

(٥) الحديث أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ. ك. فضائل القرآن. ب. ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال عنه : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، انظر : سنن الترمذي ١٥٧/٥.

(٦) الحديث أخرجه مالك عن أبي سعيد الخدري ﷺ. ك. القرآن. ب. ما جاء في قراءة ﴿ قل هو الله أحد، وتبارك الذي بيده الملك ﴾، راجع : الموطأ ١/ ١٧٢.

(١) راجع : الإتقان ٦/ ٢١٤١ وما بعدها بتصرف بين.

(٢) لقد أطال الحافظ السيوطي ـ يرحمه الله ـ في هذا المقام المقال وأورد كثيرا مما أدلى به أهل العلم حول هذه المسألة، انظر : الإتقان إن أردت مزيدا ٦/ ٢١٤١ وما بعدها.

الدلالة على مسماه إلى قرينة أو معونة، فلما انتفى هذا الاحتمال في اسم الجلالة كان أعرف المعارف لا محالة، لاستغنائه عن القرائن والمعونات [1].

من ثم : فينبغي على العبد المسلم أن يكون حظه من هذا الاسم كبيرا، فلا يرى ولا يرجو غير الله، ولا يلتفت إلى سواه، وكيف لا ؟ وقد فهم من هذا الاسم : أنه ﷻ الموجود الحقيقي، وكل ما سواه هالك وباطل إلا به ﷻ، ومن هنا يردد ما قاله رسول الله ﷺ : (أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل) [2] [3] [4] [5].

المسألة الرابعة : لماذا كان لفظ الجلالة أعظم الأسماء وأخصها ؟

وللجواب عن هذا أقول : لفظ الجلالة أعظم الأسماء وأخصها، لأن له من الأخصية ما ليس لغيره من الأسماء، فإذا حذفت الألف منه يصير ﴿ لِلَّهِ ﴾ قال ﷻ : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة : ٢٨٤، وإن حذفت اللام الأولى يصير ﴿ لَهُ ﴾ قال ﷻ : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة :

(١) انظر : التحرير والتنوير ٣/ ١٧.
(٢) البيت كاملا :
ألا كل شيء ما خلا الله باطـــل ... وكل نعيم لا محالة زائـــل
(٣) راجع : ديوان لبيد بن ربيعة ص ١٤٥، وقد قال هذه القصيدة في رثاء النعمان بن منذر.
(٤) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ. ك. الأدب. ب. ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، انظر : فتح الباري ١٠/ ٥٥٣.
(٥) أخرج الطبراني وأبو نعيم أن عثمان بن مظعون ﷺ حينما سمع لبيد ينشد هذا صدقه في قوله : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، وكذبه في قوله : (وكل نعيم لا محالة زائل)، لأن نعيم أهل الجنة لا يزول، راجع : المعجم الكبير. ب. العين ٩/ ٣٤، وحلية الأولياء. ب. عثمان بن مظعون ﷺ ١/ ١٠٣.

١٠٧، وإن حذفت اللام الثانية يصير ﴿ هُوَ ﴾ وهو ضمير راجع إلى الله تعالى، قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحشر : ٢٢ والله أعلم [١].

المسألة الخامسة : لماذا أردفت الآية ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ بعد لفظ الجلالة ؟

وللجواب عن هذا أقول : لقد جيء بلفظ الجلالة : لتربية المهابة عند سماعه، ثم أردف بقوله ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ردا على المشركين عامة وعلى النصارى خاصة، ثم أتبع بالوصفين الجليلين ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ لنفي اللبس عن مسمى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالألوهية، وأن غيره لا يستأهلها، لأنه غير حي، وغير قيوم [٢].

المسألة السادسة : ما السر في نفي السنة والنوم عن الله ﷻ ؟

وللجواب عن هذا أقول : نفي السنة والنوم عن الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم، لأنّ السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس.

المسألة السابعة : لماذا نفت الآية النوم عن الله ﷻ بعد نفي السنة ؟

وللجواب عن هذا أقول : نفت الآية النوم عن الله ﷻ بعد نفي السنة، لأن نفي السنة لا يغني عن نفي النوم، ومن الأحياء من لا تعتريه السنة، فإذا نام نام

(١) انظر : روح البيان ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٢) راجع : التحرير والتنوير ٣/ ١٤٧ بتصرف يسير.

عميقاً، ومن الناس من تأخذه السنة في غير وقت النوم غلبة، وقد تمادحت العرب بالقدرة على السهر، قال بعضهم :

فأتَتْ به حُوشَ الفُؤادِ مُبَطَّناً سُهُداً إذَا ما نَام ليلُ الهَوْجَلِ [1].

المسألة الثامنة : إذا كانت السنة عبارة عن مقدمة النوم، فهل ذكر النوم بعدها يعد تكرارا ؟

وللجواب عن هذا أقول : لا يعتبر ذكر النوم بعد ذكر السنة تكرارا، ذلك لأن تقدير الآية : لا تأخذه سنة، فضلا عن أن يأخذه نوم، وقيل : هذا من باب التكميل، وقيل : كررت ﴿ **لا** ﴾ في قوله ﴿ **وَلَا نَوْمٌ** ﴾ للتأكيد، وفائدتها انتفاء كل واحد منهما، ولو لم تذكر لاحتمل نفيهما بقيد الاجتماع، ولا يلزم منه نفي كل واحد منهما على حدته، ولذلك تقول : (ما قام زيد وعمرو، بل أحدهما) ولو قلت : (ما قام زيد ولا عمرو، بل أحدهما) لم يصح [2].

وقال الألوسي : والجملة نفي للتشبيه، وتنزيه له تعالى أن يكون له مثل من الأحياء، لأنها لا تخلو من ذلك، فكيف تشابهه وفيها تأكيد لكونه تعالى حيا قيوما ؟ لأن النوم آفة تنافي دوام الحياة وبقاءها، وصفاته تعالى قديمة لا زوال لها، ولأن من يعتريه النوم والغلبة لا يكون واجب الوجود دائمه، ولا عالما مستمر العلم، ولا حافظا قوي الحفظ [3].

المسألة التاسعة : ما الفرق بين النعاس والسنة والنوم ؟

(١) راجع : ديوان الحماسة، قصيدة أبي كبير الهذلي ص ١٨.
(٢) انظر : اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨.
(٣) راجع : روح المعاني ٣/ ٨.

وللجواب عن هذا أقول : النعاس : هو ما كان في الرأس، فإذا صار في القلب صار نوما، وفرق البعض بينهما، فقال : النعاس في العين، والسنة في الرأس، والنوم في القلب، والله ﷻ منزه عن كل هذا [١].

وقيل : السنة، النعاس، وهو النوم الخفيف، والوسنان، بين النائم واليقظان، والنوم : هو الثقيل المزيل للقوة والعقل، فهو بهذا غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، لذا نفى الله ﷻ عن نفسه النوم، لأنه آفة، وهو سبحانه منزه عن الآفات، كما أنه ـ أي النوم ـ تغير، ولا يجوز عليه ﷻ التغير [٢].

وقال ابن عطية : السنة بدء النعاس، وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه، وليس يفقد معه كل ذهنه، والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن، والمراد بهذه الآية : أن الله تعالى لا تدركه آفة، ولا يلحقه خلل بحال، وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال ﷻ : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ** ﴾ الإسراء : ٢٣، [٣].

المسألة العاشرة : كيف ترتبت الجمل في هذه الآية الكريمة بدون عطف ؟

وللجواب عن هذا أقول : لقد ترتبت الجمل في هذه الآية الكريمة بدون عطف لأنها وردت على سبيل البيان، فالأولى : بيان لقيامه بتدبير الخلق، وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية : لكونه مالكا لما يدبره، والثالثة :

(١) راجع : النكت والعيون ١/ ٣٢٤ بتصرف يسير.
(٢) انظر : تفسير الخازن ١/ ١٨٩.
(٣) راجع : المحرر الوجيز ١/ ٣٤٠.

لكبرياء شأنه، والرابعة : لإحاطته بأحوال الخلق، والخامسة : لسعة علمه، وتعلقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله سبحانه، وعظم قدره ﷻ (١).

وقيل : وردت هذه الآية على سبيل البيان، والبيان متحد بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب : بين العصا ولحائها (٢).

المسألة الحادية عشرة : لم لم تتعرض الآية لذكر ما بين السماوات والأرض ؟ ولماذا خصتا بالذكر دون غيرهما ؟

وللجواب عن هذا أقول : لم تتعرض الآية الكريمة لذكر ما بين السماوات والأرض وما فيهما، لأن حفظ ما بينهما مستتبع لحفظهما، ولقد خصتا السماوات والأرض هنا بالذكر، لأن حفظهما هو المشاهد المحسوس(٣).

المسألة الثانية عشرة : لم اقتصرت الآية أن الله ﷻ يعلم ما بين أيدي عباده وما خلفهم فقط ؟

وللجواب عن هذا أقول : المقصود من هذا القول : أن الله ﷻ عالم بجميع المعلومات، لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه، وهذا كناية عن إحاطة علمه تعالى بسائر المخلوقات من جميع الجهات، وكنى بهاتين الجهتين عن سائر الجهات، واستعيرت الجهات لأحوال المعلومات، فالمعنى أنه تعالى عالم بسائر أحوال المخلوقات لا يعزب عنه شيء (٤).

المسألة الثالثة عشرة : لماذا ختمت الآية بقوله ﷻ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ؟

(٤) انظر : تفسير النسفي ١/ ٢١٠.
(١) راجع : البحر المحيط ٢/ ٢٩١.
(٢) انظر : روح المعاني ٣/ ١١.
(٣) راجع : البحر المحيط ٢/ ٢٨٩ بتصرف يسير.

وللجواب عن هذا أقول : لقد افتتحت الآية بالاسم العلم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، علواً وعظمة، تتقاصر عنهما الأفهام، وختمت بهذين الاسمين للدلالة على علو الرتبة، وبعد المنال عن إدراك العقول أو تكون ختمت بما بدئت به، غير أن بدأها بالعظمة كان باسم الله إلاحة، وختمها بالعلي العظيم كان إفصاحا [١].

المسألة الرابعة عشرة : لماذا حثت السنة على قراءة هذه الآية في مواطن متفرقة ؟

وللجواب عن هذا أقول : حثت السنة على قراءة هذه الآية في أكثر من موضع لما اشتملت عليه من صفات الله ﷻ، ولما كررت فيها من تلك الصفات الشريفة ظاهرة ومضمرة سبع عشرة مرة، بل إحدى وعشرين، ولم يتضمن هذا المجموع آية غيرها في كتاب الله، وهي خمسون كلمة على عدد الصلوات المأمور بها أولاً، فكأنها مراقي لروح قارئها إلى ذلك المحل الأسمى الذي هو آتيه، كذلك من يواظب على قراءتها عند نومه لا يقربه شيطان، لأن من كان في حضرة الرحمن عال عن وساوس الشيطان [٢].

(١) انظر : نظم الدرر ٤/ ٣٦ ـ ٣٧.
(٢) راجع : المصدر السابق ٤/ ٣٩ ـ ٤٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

لقد تم بعون الله ﷻ وتوفيقه هذا البحث، وإني لأطمع في عظيم فضل الله ﷻ وجميل إحسانه أن يتقبله مني، ويتجاوز عن خطأي وتقصيري اللذين لا ينفكان عن أي أحد مهما حاول أو اجتهد، فلا معصوم إلا من عصم الله.

وقديما قيل : لا يكتب أحد كتابا إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على صفات البشر.

وجريا على عادة الباحثين في ذكر النتائج التي توصلوا إليها في نهاية أبحاثهم فإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي :

١. لقد اختار الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ لحمل الرسالة الخاتمة إلى الناس كافة، وجعله ﷺ رحمة للعالمين، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة
٢. على كل مؤمن أن يعلم أنه لا يكتمل إيمانه إلا بالإيمان الصادق بما جاء به ﷺ من عند ربه، كما لا تحصل لهم سعادة ولا نجاة بدونه ﷺ .
٣. على الأمة أن تعلم أن القرآن الكريم كتاب هداية وحياة، وقد جمع الله فيه ما يصلح العباد في معاشهم ومعادهم، ولن تصل الأمة إلى هذا الخير : إلا إذا صدقت نواياهم، وصفت سرائرهم، وعظمت محبتهم.
٤. على كل مسلم أن يخلص العبادة لله رب العالمين، فهو تعالى الواحد الأحد، لا رب غيره، ولا معبود سواه.

٥. في آية الكرسي أعظم المعاني وأجلها، ولقد دلت على أشرف المقاصد وأبينها، وعلى رأسها توحيد الله، وإفراده ﷻ بالعبادة.

٦. على المسلم أن يسعى إلى الحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح، وأن يراقب مولاه في كل أعماله، فهو تعالى قائم على كل نفس بما كسبت

٧. على المسلم أن يفوض أمره كله لله الحى القيوم، لأن كل ما في الكون ملك له ﷻ، فلا ملك على الحقيقة إلا هو، ولا مالك سواه.

٨. الإكثار من الدعاء بالحي القيوم، فبهما تحيا القلوب، وتنشط العقول، والتوسل بهما أدعى وأرجى للقبول.

٩. تربي آية الكرسي في العبد حسن الاعتماد على من لا تأخذه سنة ولا نوم والذي لا يخفي عليه شيء من أمر عباده، سواء كان سرا أم جهرا.

١٠. لا شفاعة يوم القيامة إلا بإذن الله ﷻ ورضاه، ولا شفيع إلا من ارتضاه، وهو ﷻ يختص بفضله ورحمته من يشاء من خلقه.

١١. لا علم للبشر إلا ما علمهم الله ﷻ، ومهما حقق البشر من علم واكتشافات، فعلمهم قليل، وعقولهم قاصرة، فعلى العباد أن يوظفوا علمهم فيما ينفع، وليس فيما يضر.

١٢. في آية الكرسي إثبات لمشيئة الله، فلا يقع في ملكه إلا ما شاء، وفي هذا دعوة ضمنية للإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره.

١٣. الإيمان بعظمة وسعة ملكه ﷻ على وجه العموم، والإيمان بالكرسي والإيمان بقدرته ﷻ على حفظ السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، فهو تعالى القادر على كل شيء قل أو كثر، وهو القاهر فوق كل شيء

١٤. المداومة على قراءة آية الكرسي بتأمل وتدبر، عقب كل صلاة مكتوبة وحين يصبح المسلم، وحين يمسي، وحين يأوي إلى فراشه، ويداوم على قراءتها في بيته، ففي ذلك خير كثير، وأجر كبير.

١٥. في آية الكرسي رد على شبهات وأباطيل أعداء الدين، ففيها رد على المشركين الذين زعموا وجود آلهة أخرى.

١٦. في آية الكرسي رد على الملاحدة الذين أنكروا وجود الله تعالى.

١٧. في آية الكرسي رد على منكري الشفاعة، وأنها ثابتة بالقرآن والسنة.

١٨. في آية الكرسي رد على القدرية الذين أنكروا القدر، وزعموا أن علم الله بالأشياء لا يكون إلا بعد وقوعها.

١٩. في آية الكرسي تنزيه لله ﷻ عن صفات العجز، والنقص، فهو تعالى صاحب الكمال المطلق، والقدرة، والإرادة الغالبة، والمشيئة النافذة، لا يغفل ولا ينام، ولا يعجزه شيء، ولا يعزب عن علمه شيء.

٢٠. الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلى، كما وردت في القرآن والسنة، دون تمثيل، أو تشبيه، قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(مصادر البحث)

١. القرآن الكريم.
٢. اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر / للعلامة أحمد بن محمد البنا تحقيق شعبان محمد إسماعيل ط عالم الكتب بيروت ـ لبنان، ومكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣. الإتقان في علوم القرآن / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحقيق مركز الدراسات القرآنية.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز/ لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.
٥. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة / تأليف : نخبة من العلماء ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٦. إعراب القرآن وبيانه / لمحي الدين الدرويش ط دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ـ بيروت، دار اليمامة للنشر والتوزيع دمشق ـ بيروت الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٨. بحر العلوم / لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ط دار الكتب العلمية بيروت . لبنان تحقيق الشيخ علي معوض وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٩. البحر المحيط / لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان
١٠. البرهان في علوم القرآن / لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط مكتبة دار التراث . القاهرة.
١١. التحرير والتنوير / لمحمد الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية، تونس ١٩٨٤م.
١٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ط دار العاصمة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١٣. تفسير القرآن العظيم / للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد السلامة ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٤. تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين / للحافظ عبد الرحمن بن محمد الرازي بن أبي حاتم تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م
١٥. التفسير الكبير / لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المعروف بفخر الدين الرازي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق أحمد شاكر، ط مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية.
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
١٨. الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٩. جواهر القرآن / لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي تحقيق د محمد رشيد رضا القباني ط دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٢٠. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به / للدكتور عبد الكريم خضير، ط دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ط دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
٢٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٢٣. ديوان الحماسة / لأبي حبيب أوس الطائي ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٢٤. ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي ط دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م
٢٥. روح البيان / للشيخ إسماعيل حقي البرسوي ط المطبعة العثمانية.
٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٧. سنن ابن ماجة / لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة ط دار الحديث القاهرة.
٢٨. سنن الترمذي / لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي تحقيق أحمد محمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، ط دار الحديث . القاهرة.

٢٩. السنن الكبرى / للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٣٠. السنن الكبرى للنسائي / لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي.

٣١. شعب الإيمان / لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق محمد السعيد بسيوني ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

٣٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي تحقيق شعيب الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٣. صحيح مسلم. ط. دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤. صحيح مسلم بشرح النووي / لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ط دار الريان للتراث القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

٣٥. ضياء الفرقان في تفسير القرآن / للأستاذ الدكتور جودة المهدي.

٣٦. ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية / لمحمد عبد الرازق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٨هـ

٣٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان / لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ط دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٣٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري / للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٣٩. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ط دار البيان دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٠. في ظلال القرآن / لسيد قطب ط دار الشروق الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤١. لباب التأويل في معاني التنزيل / لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٤٢. لباب النقول في أسباب النزول / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٤٣. اللباب في علوم الكتاب / لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤٤. مجموع فتاوى ابن تيمية إعداد محمد بن عبد الرحمن قاسم ط مجمع الملك فهد إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٤٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل / لأبي البركات أحمد بن عبد الله النسفي تحقيق يوسف علي بديوي ط دار الكلم الطيب بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤٧. المدخل لدراسة القرآن الكريم / للدكتور محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤٨. المستدرك على الصحيحين / للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ط دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

٤٩. المسند / لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥٠. مسند أبي داود الطيالسي / لسليمان بن داود بن الجارود تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ط دار هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م.

٥١. مسند الحميدي / لعبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي ط عالم الكتب بيروت ـ لبنان، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٢. المصنف / لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد ط مكتبة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥٣. معالم الإيمان في تفسير أم القرآن للأستاذ الدكتور / محمد السيد جبريل

٥٤. المعجم الكبير / لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ط مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٥٥. المعجم الكبير / لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ط مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٥٦. منهج النقد في علوم الحديث / للدكتور نور الدين عتر، ط دار الفكر دمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٥٧. الموطأ / للإمام مالك بن أنس ﷺ ط دار الفكر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٥٨. نسيم الرياض في شرح القاضي عياض / لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري ط دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
٥٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
٦٠. النكت والعيون / لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت . لبنان.

(محتويات البحث)

الموضـــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة.....	١١٥
بين يدي الآية الكريمة.....	١٢١
متى نزلت هذه الآية ؟.....	١٢١
ترتيبها في المصحف.....	١٢٥
فضل الآية وشرفها.....	١٢٧
ما ورد في فضل الآية من الأحاديث.....	١٢٨
ما ورد في فضل الآية من الآثار.....	١٣٣
مفهوم ينبغي أن يصحح.....	١٣٥
ما حكم رواية الحديث الضعيف والعمل به ؟.....	١٣٥
القول الأول.....	١٣٦
القول الثاني.....	١٣٦
القول الثالث.....	١٣٦
شروط قبول الحديث الضعيف.....	١٣٧
معنى العمل بالحديث الضعيف.....	١٣٧
البلاغـة في الآية.....	١٣٨
مناسبة هذه الآية لما قبلها.....	١٤٠
التفسير التحليلي للآية.....	١٤١
تأويل قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.....	١٤٥
تأويل قوله ﷻ ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾.....	١٤٦

تأويل قوله ﷻ ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.....	١٤٨
الموضـــــــــــــــوع	**رقم الصفحة**
تأويل قوله ﷻ ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.....	١٥١
تأويل قوله ﷻ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.....	١٥٤
أنواع الشفاعة.....	١٥٥
شروط الشفاعة.....	١٥٦
لمن تكون الشفاعة ؟.....	١٥٧
تأويل قوله ﷻ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.....	١٥٨
تأويل قوله ﷻ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾.....	١٦٠
تأويل قوله ﷻ ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.....	١٦٢
تأويل قوله ﷻ ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾	١٦٧
مسائل تتعلق بالآية الكريمة.....	١٦٩
المسألة الأولى.....	١٦٩
المسألة الثانية.....	١٧٠
المسألة الثالثة.....	١٧١
المسألة الرابعة.....	١٧٢
المسألة السادسة.....	١٧٣
المسألة السابعة.....	١٧٣
المسألة الثامنة.....	١٧٤
المسألة التاسعة.....	١٧٤
المسألة العاشرة.....	١٧٥

المسألة الحادية عشرة.....	١٧٦
الموضـــــــــــــــوع	**رقم الصفحة**
المسألة الثانية عشرة.....	١٧٦
المسألة الثالثة عشرة.....	١٧٦
المسألة الرابعة عشرة.....	١٧٧
الخاتمة.....	١٧٨
مصادر البحث.....	١٨١
محتويات البحث.....	١٨٨